مسلسل الثقافة الجنسية (٥)

أحمد حسين فؤاد

# الحب والغريزة الجنسية

# فى المنظور الإسلام والغربى

- الجمال وتأثيره فى القلوب والنفوس
- عصر القنبلة الجنسية
- مفهوم الإخلاص والجنس
- الإسلام والجنس
- الحب العذرى
- ما قيل فى الحب والغيبوبة واللذة
- النهاية الطبيعية للمحبين

الطبعة الأولى

٢٠٠٨

أجيال

تسويق ونشر

مجموعة أجيال لخدمات التسويق والنشر والإنتاج الثقافى

**الكتاب:** الحب والغريزة الجنسية فى المنظور الإسلامى والغربى

**المؤلف:** أحمد حسين فؤاد

**الطبعة الأولى:** القاهرة ٢٠٠٨

**رقم الإيداع:** ٢٠٠٨/٣٤١٢

**الترقيم الدولى:** I.S.B.N. 977-6215-34-3

فؤاد ، أحمد حسين.
الحب والغريزة الجنسية فى المنظور الإسلامى والغربى/ أحمد حسين فؤاد. - ط١. -- القاهرة: مجموعة أجيال لخدمات التسويق والنشر والإنتاج الثقافى، ٢٠٠٨.
١١٢ص؛ ٢٤سم.
تدمك: ٣- ٣٤- ٦٢١٥- ٩٧٧
١- الغرائز والإسلام = الإسلام والفطرة.
٢- الإسلام والفطرة.
٣- الغرائز الجنسية.
أ- العنوان ٢١٤.١٥٢٥٢

# الحب والغريزة الجنسية

**المدير العام** خالد عبد الصمد خفاجي

**مدير النشر** عـــادل متـــولي

**الجمع والصف الإلكتروني**

**القسم الفني**

**إشراف وتنفيذ** إيمان خفاجي

**تصميم الغلاف: الفنان** سامر محمود





تسويق ونشر

**مجموعة أجيال لخدمات التسويق والنشر والإنتاج الثقافي**



الإدارة: ٥ شارع المصانع - من شارع شهاب

المهندسين - الجيزة - جمهورية مصر العربية.

تليفون: ٣٣٤٥٩٩٦٣ فاكس: ٣٣٠٢٦٤٣١

التسويق: ٠١٢٣٧٠٥٠٢٤ - ٠١٠١٨٨٩٣٦٣

E.mail: agyal.gro@hotmail.com



# الإهداء

**بكل ذلة العبد . . .**

**وبكل تواضع المؤمن . . .**

**وبكل جارحة من جوارح المحب . . .**

**وبكل ذرة فى كيانه .**

**نرفع إلى الذات العلية أقدس وأصفى وأصدق . . . آيات الولاء**

﴿ . . . رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) ﴾ [ البقرة ] .

**أحمد حسين فؤاد**



## المقـدمة

إن الحمد لله . نحمده تعالى ونشكره ونتـوب إليه ونستغفره . ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعـمالنا . من يهـده الله فلا مـضل له . ومن يضلـل فلا هـادى لـه . ونشهـد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له . وأن سـيـدنا ونبيـنـا ( محمدا ) عبـده ورسوله وحبيبه . بلغ الرسالة . وأدى الأمانة . ونصح الأمة .

**وبعد**

فإن الحب بمعناه الأشمل والأعمق يعتبر ركـيزة الإيمان . وقاعدته الأساسية، ومنطلقه إلى كل أفق من آفاق الوجود الإنسـانى، ولا مندوحة عن تواجده التلقائى فى ذات الإنسان . من غير تكلف ولا تمحك . . .

فإذا ما اتـخذ سبيله الطبـيعى فى مسارب حـياة الإنسان وتطلعاتـه وأشواقه وإتجاهاته، ومن غـير ذبذبة أو تشويش أو انحـراف، بلغ بهذا النهج القـويم الغاية المنشودة وتحقق للفرد كمال إيمانه .

يقول رسول الله ﷺ:

**(من أعطى لله . ومنع للـه . وأحب فى الله وأبغض فى الله، فـقد إسـتكمل الإيمان).**

وليس من شك فى أن كمـال الإيمان هو ذروة الأمان النفسى والحـياتى لدى الإنسان فى الدنيا، وكلك خير المنقلب فى الأخرة .

ولعل نظرة سطحيـة عابرة إلى الحديث الشريف تلتـقط عبارة : ( الحب فى الله ) كعنصر وجزئية، فتتـوقف عندها، وهذا - لعمرى - قصور عن بلوغ العمق وإدراك الحقيقة المكنونة .

ذلك أن مدار الحديث على أربعـة أركان : اثنان إيجابيان، وآخـران سلبيان . . . هكذا الظاهر . . . .

والحقيـقة التى لا مراء فـيها أن الإعطاء ونقيـضه، مطلقا من غيـر تحديد أو كيفية، يقوم أولا على ( شعور وتحسس )، أو ( انفعال )، يخضع للحب. . .

وبالنتيجة فإن الحب سبـيل استكمال الإيمان وإذا ما شع الحب بنوره الصافى فى قلب الإنسان، واتقدت جذوته الخـابية فى حنايا النفس، ترقى وجوده الروحى والوجدانى فـوق الأخلاط والأمشاج المادية، وأضـحى - من ثم - كائنا سامـيا، عبوديته للرحمن قمة الحب . . . وذروة الفناء .

ونحن نحاول - متواضعين - أن نبحث فى ( الحب ) بمنهـجية وموضوعية، نسأل الله تعالى أن يجنبنا الزلل، ويقـينا الخطأ والانحراف، وأن يجعل هذا العمل متقبلا عنده، إنه أكرم مسئول وخير مأمول .

**وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**




### فى الحب عموم وخصوص . . .

أما الخصوصية : فهى تحجيم وتقزيم، بل حجر على إشراق العاطفة وكبتها، أوحبسها فى دهليز انفرادى مظلم، أمام العمومية : فهى إطلاقها من عقالها إلى الآفاق الرحبة فلا تحدها حدود ولا تحجزها حواجز . . .

ترتد فى أغوار الزمن إلى البعيد السحيق، وتحلق فى الغيوب إلى ما بعد الموت، وتصعد فى السموحتى تعلووتتدلى، فتكون قاب قوسين أوأدنى .

وكلمة الحب شأنها شأن كلمة الأمانة . . . أو غيرها من المعانى التى تحمل مفهومى العموم والخصوص .

فالأمانة مثلا، إذا ما أطلقت تبادر إلى الذهن مفهومها الضيق المحدود، المادى السطحى القريب، علما بأنها من حيث الإحاطة أشمل وأعم، وأعظم وأسمى، وهو الأول والأجدر، حتى لا تتقوقع وتضؤل.

وحرى بنا - ونحن فى معرض الحديث عن المشابهة والمماثلة - أن نصيخ السمع والجوارح إلى قول الله تعالى :

**﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً**  **﴾** [الأحزب].

ذلك أن الأمانة على حقيقتها الربانية أكبر بكثير من عرفها المادى البشرى، إنها ( المسئولية ) الكاملة ! !

وكذلك الحب . . .

فعندما تطلق كلمته لا يخطر على الذهن سوى المعنى القريب، صورة العلاقة العاطفية أو المادية بين ذكر وأنثى . . .

ولئن كان فى الذهن صور شتى لعلائق الحب، إلا أن هذا المفهوم القريب يظل هو المسيطر والظاهر، يغطى ويغشى ما وراءه مما هو أهم وأشمل والأخطر . . . هو أن هذا المفهوم، رغم ضآلته يسفل بالإنسان أحيانا، ويسفه المعنى السامى

للحب، فلا يقيم وزنا للحـدود الشرعية والطبيعيـة فى العلاقة بين الرجل والمرأة، ويسمى الأشياء بغير مسمياتها، ويـناقض حقيقتها، فلا يمكننا مطلقا أن نسمى الزنا حبا .

واللغات . . ترجمان الأمم، وسفر حضارتها، ومستودع ثقافتها، ومفرداتها وبنات حاجاتها الحـياتية، ومولدات ضرورتها فى التفـاهم والتخاطب، وهى تنبئ من غير ريب عن أصالتها التاريخية فى عمق الإدراك والسداد .

ولست أجد من بين اللغات الحية ضـبطا ودقة، ولا عجب فى لك فهى لغة القرأن الكريم، ناموس الوجود ودستور الإنسانية .

لا أقول ذلك بدافع من تعصب أعمى، أو نزعة عـاطفية هوجاء، بل إلتزاما بمبدأ العدل والإنصاف .

فكلمة الحب ( كمصدر )، قـد وردت فى القرأن الكريم فى أكثر من ثمانين موضعا، موزعة الاشتقاق متباينـة التركيب، ولكنها تصب جميعا فى مورد العاطفة النبيلة، وتؤكـد الشموليـة، وترتفع فوق درك العلاقـة المادية بين الرجل والمرأة فى إطارها المحدود - وإن شملتها - .

أما كلمة " حب " فى اللغة الفرنسية : فهى فى مصدريتها لا تتضمن المعنى الشمولى، بل تتجـمد وتتحجر ضمن قالب العلاقـة العاطفية أو المادية بين الرجل والمرأة ولا تتجـاوز ذلك إلى العلاقات الأخـرى، ربانية أو إنسانيـة أو معنوية، إلا بمتمم بيانى يقترن بها، وقد يبتعـد تركيبها اللفظى عن الأصل المصدرى كثيرا، وإن من يعرف اللغة الفرنسيـة يدرك ذلك، واللغة الإنجليزية تجرى على نفس النسق فى المضمون والمدلول .

وهذا إن دل على شئ فـإنما يدل على ضـيق أفق المفـهوم الحـضـارى لتلك الأمم، وما تفرع عنهـا من شعوب ودول على مدار التاريخ، سـواء كان ذلك ناتجا عن دينها أو منجزات عقول مفكريها ورواد ثقافتها .

ولقد تسرب هذا المفـهوم الضيق للحب من الأمم القوية - بتفـوقها العلمى (الميكانيكى) - إلى الأمم المستضعـفة، ومنها إلى أمتنا الإسلامية، فـأضحت أسيرة

له، واقعة تحت تأثير مخدره، تنحو مع تياره فى كل اتجاه، مسلوبة الإرادة، فاقدة لشخصيتها المميزة .

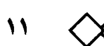
و إن حاجتنا إلى اليقظة، والإنبعاث من رقدتنا، هى حافزنا إلى تلمس أدوائنا وعللنا، ووصف العلاج الشافى بما يقدر الله تعالى لنا من فهم وإدراك .

وما عزمنا على الكتابة فى هذا المضمار، وفى غيره، إلا واجبا نضطلع بعبئه حتى يتكامل العمل البناء فى خدمة النهضة الإسلامية الحديثة، والتى نرجو لها من الله تعالى التوفيق .

وإنى لآمل أن يجد الجيل المعاصر من شبابنا المسلم فيما نرشدهم إليه خير سبيل على تخطى ما يواجههم من مشاكل وصعاب، وعقبات وعثرات، ويدركوا أيضا ضرورة أصالة شخصيتهم الإسلامية المتميزة .

**والحمد لله أولا وأخيرا**





قال رسول الله ﷺ:

(دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء، هى الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والى نفس ( محمد بيده ) لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشئ إذا فعلتموه تحاببتم . . . أفشوا السلام بينكم).

# القسم الأول

## الحب

## من منظور إسلامى

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ... (٣١) ﴾. [آل عمران].

(والذى نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا).

[حديث شريف]

# الفصل الأول

## التعريف اللغوى (الأسماء - الاشتقاق - المعانى)

يقول العارفون والمهتمون بأنه لما كان الفهم لمسمى الحب أشد، وبقلوب المحبين أعلق، كثرت لديهم الأسماء، وذلك تبعا لتنوع المشاعر والأحاسيس التى تخطر لهم، وتنتاب جوارحهم، وتطوح بهم يمنة ويسرة، أو تعلو بهم وتشغل، أو تضئ لهم وتظلم، أو تشرق وتغرب .

كثرت أسماؤه حتى بلغت ما يقارب الستين اسما، أهمها :

المحبة، والعلاقة، والهوى، والصبوة، والصبابة، والشغف، والوجد، والكلف، والتتيم، والعشق، والجوى، والدنف، والشجو، والشوق، والخلابة، والبلابل، والتباريح، والغمرات، والشجن، واللاعج، والاكتئاب، والوصب، والحزن، والكمد، واللذع، والحرق، والسهد، والأرق، واللهف، والحنين، والاستكانة، واللوعة، والفتون، والجنون، واللمم، والخبل، والود، والغرام، والهيام، إلخ . . . .

وهى فى مجموعها عن التحقيق تبدو حالات وصورا . . أما استخراجها وتعدادها فقد التقط من خلال ما ذكره وأورده المحبون فى أشعارهم أو فلتات ألسنتهم، وأكثرها - بل جلها - إنما يتجه إلى المفهوم المألوف للحب، وهو العلاقة العاطفية أو الجسدية بين الرجل والمرأة، وقلما نجد صورة قد تآطرت فى احتواء كلى وكامل لهذه العاطفة الإنسانية فعمت الوجود، أو تشعبت إشعاعاتها أطيافا وألحانا تترنم خاشعة فى معبد الكون وموجوداته للخالق عز وجل وحيث أن التدرج أولى بنا، وبما أن المألوف المعهود أجدر بالابتداء، فتتخذه سببا للعلو والإرتقاء، لنبلغ الغاية ونوفى البحث حقه، غير متأثرين بخيال أو وهم أو نازعين إلى علو أو شطحات . . . كان إستقصاء معانى صور المحبة من خلال مسمياتها

- التى عـرضنا - مقـدمة طبـيعـية وضرورية، تـتبلور فى خـلالها الاشـتقـاقات والمترادفات وتوحد المعانى أو افتراقها وتبعثرها، ولعل هذا الاستقصاء يكون الركيزة الأهم فى مجالات البحث .

### الاشتقاق والمرادفات

قيل إن المحبة : أصلها من : الصفـاء، لك أن العرب تقول فى صفاء بياض الأسنان ونضارتها : ( حبب الأسنان )

وقيل إنهـا مأخوة مـن : الحباب، وهو الذى يعلو الماء عنـد المطر الشديد، فكأنما غليان القلب وثوراته عند الاضطرام والاهتياج فى لقاء المحبوب يشبه ذلك .

وقيل : مشـتقة من الثبات والالتزام، ومنه أحب البـعير، إذا برك فلم يقم، لأن المحب لزم قلب محبوبه .

وقيل النقيض : أى مأخـوذة من القلق والإضطراب، ومنه سمى ( القرط ) حبل لقلقه فى الأذن، قال الشاعر :

**تبيت الحية النضناض منه مكان الحب تستمع السرارا**

وقيـل : بل مأخـوذة من الحب جمع حـبة وهى لبـاب الشئ وأصله، لأن القلب أصل كيان الإنسان ولبه، ومستودع الحب ومكمنه .

وقيل فى أصل الإشتقاق كثيـر غير ها، لكننا نعزف عن الإطالة والإسهاب، ولتعريف الماهيـة نقول بأن الحب هو : الميل الدائم بالقلب الهائم، وإيثـار المحبوب على جميع المصـحوب، وموافقة الحبـيب حضورا وغيابا وإيثار مـا يريده المحبوب على ما عداه، والطواعية الكاملة، والكر الدائم وعدم السلوان، قال الشاعر :

**ومن كان من طول الهوى ذاق سلوة فإنى من ليلى لها غير ذائـق**
**وأكـثر شـئ نـلتـه من وصالـها أمانى لم تصدق كلمعة بارق**

أو عمى القلب عن رؤية غـير المحبوب، وصمـمه على سماع العـدل فيه، وفى الحديث الذى رواه الإمام ( أحمد ) تصديق ذلك، إذ قال رسول الله ﷺ : (**حبك للشئ يعمى ويصم** ) .

أو الحضور الدائم، كما قال الشاعر :

**يا مقيما فى خاطرى وجنـــانى وبعيدا عن ناظرى وعيانـــى**
**أنت روحى إن كنت لست أراها فهى أدنى إلى من كل دانـــى**

وقال أخر :

**خيالك فى عينى، وذكراك فى فمى وشواك فى قلبى فأين تغيب ؟ !**

ذلك فى الحب والمحبة . . .

**أما الهوى** : فيقال أنه مـيل النفس، وفعله : هوى، يهوى، هوى، وأما : هوى يهوى فهو السقوط، ومصدره الهوى

وأكثر ما يستعمل الهوى فى الحب الممموم قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النازعات].

وقد يستعـمل فى الحب الممدوح استعمالا مقـيدا، ومنه قول النبى ﷺ ( **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به** ).

وجاء فـى الصحـيحين عن ( عـروة بن الزبير ) - رضى الله عنـه - قال : (كانت خولة بنت حـكيم من اللائى وهبن أنفسهن للنبى ﷺ، فقـالت ( عائشة ) رضى الله عنها : أما تستحى المرأة أن تهـب نفسها للرجل ؟ فلما نزلت﴿ **تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ** ... ﴿٥١﴾ ﴾ [الأحزاب] قلت : يا رسول اللـه ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك) .

وأما الصبوة : فهى الميل إلى الجهل، فـقد جاء فى القرأن الكريم على لسان سيـدنا يوسف - عليه السلام - قـوله تعالى: ﴿ ... **وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [يوسف].

والصبوة غير الصبابة التى تعنى شدة العشق، ومنها قول الشاعر :

**تشكى المجنون الصبابة ليتنى تحملت ما يلقون من بينهم وحدى**

**وأما الشغف** : فهو مأخوذ من الشغاف الذى هو غلاف القلب، ومنه قول الله تعالى واصفا حال امرأة العزيز فى تعلقها بيوسف - عليه السلام - ﴿ ... قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ... ﴿٣٠﴾ ﴾ [يوسف]، قال ( ابن عباس ) - رضى الله عنهما - فى لك : دخل حبه تحت شغاف قلبها .

**وأما الوجد** : فقد عرف بأنه الحب الذى يتبعه الحزن بسبب ما، وأما الكلف: فهو شدة التعلق والولع، وأصل اللفظة من المشقة، يقول الله تعالى : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ... ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة]، وقال الشاعر :

**فتعلمى أن قد كلفت بكم ... ثم اصنعى ما شئت من علم**

**ثم العشق**، وكما يقال عنه : أمر هذه الأسماء وأخبثها، ولقد قل إستعمال العرب القدماء له، ولا نجده إلا فى شعر المتأخرين، وعرف بأنه فرط الحب .

قال الفراء : العشق نبت لزج، وسمى العشق الذى يكون فى الإنسان للصوقه بالقلب.

**والجوى** : الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن.

**والشوق** : هو سفر القلب إلى المحبوب، وارتحال عواطفه ومشاعره، وقد جاء هذا الإسم فى حديث نبوى شريف، إذ روى عمار بن ياسر - رضى الله عنه - أنه صلى صلاة فأوجز فيها فقيل له : أوجزت يا " أبا اليقظان " !! فقال : لقد دعوت بدعوات سمعتهن من رسول الله "  " يدعو بهن :

( اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحينى إذا كانت الحياة خيرا لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خير لى، وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا، وأسألك القصد فى الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، فى غير ضراء مضرة، ولا فتنة ضالة، اللهم زينا بزينة الإيمان، وإجعلنا هداة مهتدين )

وقال بعض العارفين :

( لما علم الله شوق المحبين إلى لقائه، ضرب لهم موعدا للقاء تسكن به قلوبهم ).

**وأما الوصب** : فهو ألم الحب ومرضه، لأن أصل الوصب المرض، وفى الحديث الصحيح ( لا يصيب المؤمن من هم ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه ).

وقد تدخل صفة الديمومة على المعنى، قال الله تعالى :

﴿ **دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ** ⁽٩⁾ ﴾ [الصافات]، وقال سبحانه : ﴿ ...**وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً** ... ⁽٥٢⁾ ﴾ [النحل].

وأما الاستكانة : فهى من اللوازم والأحكام والمتعلقات، وليست إسما مختصا ، ومعناها على الحقيقة : الخضوع .

قال تعالى : ﴿ ... **فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ** ⁽٧٦⁾ ﴾ [المؤمنون] وقال: ﴿ ... **فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ⁽١٤٦⁾ ﴾ [آل عمران] وكأن المحب خضع بكليته إلى محبوبته، واسلَّم بجوارحه وعواطفه، واستكان إليه .

وأما الود : فهو خالص الحب وألطفه وأرقه، وتتلازم فيه عاطفة الرأفة والرحمة، يقول الله تعالى ( وهو الغفور الودود ) ويقول سبحانه ( إن ربى رحيم ودود ).

وأما الخلة : فهى توحيد المحبة، وهى رتبة أو مقام لا يقبل المشاركة، ولهذا اختص بها فى مطلق الوجود الخليلان ( إبراهيم ) و( محمد ) - صلوات الله وسلامه عليهما - قال تعالى: ﴿ ... **وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ⁽١٢٥⁾ ﴾ [النساء]. وصح عن النبى ﷺ أنه قال ( إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا )، وقال ﷺ : لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن )، وقال ﷺ: ( **إنى أبرأ إلى كل خليل من خلته** ).

وقيل : لما كانت الخلة مرتبة لا تقبل المشاركة امتحن الله سبحانه نبيه (إبراهيم ) - الخليل - يذبح ولده لما أخذ شعبة من قلبه، والمراد ذبحه من قلبه، لا

ذبحه بحـقيقة المدية، فلمـا أسلما لأمر الله، وقدم - إبراهيم - ( عليـه السلام ) محبة الله تعـالى على محبة الولد، خلص مقام الخلة وصفـا من كل شائبة، فدى الولد بالذبح . ومن ألطف ما قبل فى تحقيق الخلة إنهـا إنما سميت كذلك لتخللها جميع الأجزاء وتداخلها فيها، قال الشاعر :

**قد تخللت مسلك الروح منى وبذا سمى الخليل خليلا**

وقال بعض العلماء المحققين :

قد ظن بعض من لا علم عنده أن الحبيب أفضل من الخليل، وقال (محمد) حبيب الله، و( إبراهيم ) خليل الله، وهذا باطل فى وجوه كثيرة، منها : أن الخلة خاصـة والمحبة عـامة، فإن الله يحب التـوابين ويحب المتطهرين، وقال فى عـباده المؤمنين ﴿ ... **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ...(٥٤) ﴾ [المائدة] ومنها : أن النبى ( ﷺ ) ( نفى أن يكون له من أهل الأرض خليـلا، وأخبـر أن أحب النساء إليـه ( عائـشة ) - رضى الله عنهـا - ومن الرجـال أبوها، ومنهـا : أنه ( ﷺ ) قـال : ( لو كنت مـتـخذا من أهل الأرض خـليلا لاتخـذت أبا بكر خلـيلا ولكن أخـوة الإسـلام ومـودته)، ومنها : أنه ﷺ قـال : ( **إن الله اتخـذنى خليـلا كمـا اتخـذ إبراهيم خليلا**).

وأما الغـرام : فهـو الحب اللازم، ونقصـد باللازم اللزوم والتحـمل، يقال رجل مغرم، أى ملزم بالدين، قال ( كثير لعزة ):

**قضى كل ذى دين فوفى غريمه و" عزة " ممطول معنى غريمها**

ومن نفس المادة قول الله تعالى عن جهنم ﴿ ... إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) ﴾ [الفرقان] أى لازما دائما.

**وأما الهـيام** : فهو جـنون العشق، وأصله داء يأخذ الإبل فتـهيم لا ترعى، والهيام ( بكسر الهاء ) الإبل العطاش، فكأن العاشق المسـتهام قد استبد به العطش إلى محـبوبه فهـام على وجهه لا يأكل ولا يشـرب ولا ينام، وانعكس ذلك على كيانه النفسى والعصبى فأضحى كالمجنون، أو يجن فعلا . . .



ونصل إلى قمة الهرم صعودا فى معنــى الحب ومرادفاته، وهو التعبد، ولقد قيل فيه : التعبــد هو غاية الحب وغاية الذل، يقال : عبده الحب أى ذلله، وطريق معبــد بالأقدام، أى مذلل، وكــذلك المحب قد ذلله الحب ووطأه، ولا تصلح هذه المرتبــة لدى الإنسان إلا لذات الله تعــالى، فلا يغــفر الله ســبحانه لمــن أشرك فى عبادته، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

فمحبة العبودية أشرف أنواع المحبة، وهى خالص حق الله على عباده، ولقد روى فى الصحيح عن ( معاذ بن جبل ) - رضى الله عنه - قال :

( كنت ســائرا مع رسول الله ﷺ، قــال يا " مــعاذ " . . . قلت لبــيك يارسول الله وسعديك، ثم سار ساعة فقال : يا " معاذ " . . . قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك، قال : أتدرى ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم، قال حقه عليهم أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا . . .، أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم بالنار )

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى رسوله بالمعبودية فى أشرف مقاماته، وهى مقام التحدى، ومقام الإسراء، ومقام الدعوة.

فقال فى الــتحدى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ...(٢٣) ﴾ [البقرة].

وقال فى مــقام الإسراء ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ... (١) ﴾ [الإسراء].

وقال فى مقام الدعوة : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ... (١٩) ﴾ [الجن].

وإذا تدافع أولو العزم الشــفاعة الكبــرى يوم القيامــة، يقول عيــسى - عليه السلام - لهم : اذهبــوا إلى ( محمــد )، عبد غفــر الله له ما تقدم من ذنبــه وما تأخر،فعليــه الصلاة والسلام قد نال ذلك المقام بكمــال العبودية لله وكمال مــغفرة الله له، فأشرف صفات العبد صفة المعبودية، وأحب أسمائه إلى الله : عبد الله، وعبد الرحمن، وأصدقها حارث، وهمام، وأقبحها حرب، ومره . . . كما جاء عن الصادق الأمين ( صلوات الله وسلامه عليه ).

لم نعرض لكل المترادفات ولا كل المسميات، حتى الذى ذكرناه منها، خشية الإطالة والإسهاب الممل من ناحية، وقصدا إلى توجيه القارئ موضوعيا ونفسيا إلى أن جميع تلك المرادفات والمسميات إن هى إلا أوضاع وحالات وصور تنشأ عن الأصل وتنبثق عنه تبعا لما ينتاب المحب من مشاعر وعواطف، أو مواقف تتأثر بها ذاته ونفسه، فيتكيف انفعاليا وضرورة .

وأنت لو رحت تبحث فى أى صورة من الصور، أو حالة من الحالات لوجدتها من غير رهق أو عسر ناشئة عن الحب، أو سببا من أسبابه، ولكنها تختلف باختلاف الوضع والنسق والصلة، قوة أو ضعفا، شدة أو تراخيا، بعدا أو قربا، علوا أو هبوطا، حرارة أو فتورا . . .

إنها مسارب وأسلاك، أو شرايين وأوردة . . . تتلقى من المصدر وتحمل منه إلى المصب دفقة أو دفعة، فلا تلبث أن تتأثر بالمحمول، وتنبض به، وتنفعل بالحرارة والجريان .

ولا شك أن بين الذات والصفة بينونة من حيث المسمى، وتدانيا واقترابا من حيث المعنى الشمولى، وتلاحما من حيث الأثار .

فذات ( الله ) سبحانه وتعالى تتصف بالرحمة ( الرحمن الرحيم ) والمغفرة ( الغفور ) والود ( الودود )، وهى مرادفات من حيث المعنى - ولا مشاحة فى ذلك - يقتضيها الشمول والأثر .





# الفصل الثانى

## الكون والحب

جاء فى كتاب ( روضة المحبين ونزهة المشتاقين )[1] - ( ص : ٦١ ) : (إن حركة الأفلاك وما حـوته تابعة للحركة الإرادية المستلزمة للمحـبة، فالمحبة والإرادة أصل كل فعل ومبدؤه ).

فلا يكون الفـعل إلا عن محـبة وإرادة، حتى دفـعه للأمور التـى يبغضـها ويكرهها، فإنما يدفـعها بإرادته ومحبتـه لأضدادها، واللذة التى يجدها فى الدفع، كما يقال : شفي غيظه، وشفى صدره، والشفاء والعافية يكون للمحبوب وإن كان كريهـا، مثل شرب الدواء الذى يدفع به ألم المرض . . . فـإنه وإن كان مكروها من وجه فهو محبوب لما فيه من زوال المكروه وحصول المحبوب من وجه آخر .

وكذلك فعل الأشيـاء المخالفة للهوى، فإنها وإن كـانت مكروهة فإنما تفعل لإرادة ومحبة، وإن لم تكن محبـوبة لنفسها فإنها مستلزمة للمـحبوب لنفسه، فلا يترك الحى ما يحبه ويهواه ولكن يترك أضعفهما محبة لأقواهما محبة .

ولذلك كانت المحبـة والإرادة أصلا للبغض والكراهة، فإن الـبغيض المكروه ينافى وجود المحبوب، والفعل إما أن يتناول وجود المحبوب أو دفع المكروه المستلزم لوجود المحبوب، فعاد الفعل كله إلى وجود المحبوب .

يريد ( ابن القيم الجـوزية ) من خلال هذا البحث النفسى العـميق أن يؤكد حقيقة إرادة الحب كأساس وأصل، وإن حركة الضد تنشأ عنها إلى غيرها استجرارا واستمرارا، لا انعكاسا كما تبدو فى الظاهر .

ثم يمضى قائلا :

(والحركة الاختـيارية أصلها الإرادة، والقسرية والطبـيعية تابعتان لهـا، فعاد الأمر إلى الحركة الإرادية .

---

(١) ابن قيم الجوزية .

فجميع حركات العالم، العلوى والسفلى، تابعة للإرادة والمحبة، وبها تحرك العالم لأجلها، فهى العلة الفاعلية والغائية، بل هى التى بها ولأجلها وجد العالم، فما تحرك فى العالم العلوى والسفلى حركة إلا والإرادة والمحبة سببها وغايتها، بل حقيقة المحبة : حركة نفس المحب إلى محبوبه، فالمحبة حركة بلا سكون )

وعند قـول (ابن الجوزية ) : ( المحبـة حركـة بلا سكون )، نتوقف قـليلا لندرك معا أن الحـياة بمعناها الواسع الشامل فى الكون كله، من أحقر وأقل مـا فيه إلى أرقاه قائمة على المحبة، بل هى ذاتها وعينها؛ لأنه الحركة الدائمة المستمرة، أما السكون فهو الموت والنهاية .

ثم يقول :

( وكمال المحبـة هو العبودية . . . والذل والخضوع، والطاعة لـلمحبوب، وهو الحق الذى به وله خلقت السماوات والأرض وما بينهما والأخرة

قال الله تعالى : ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ... (٣)﴾ [الأحقاف].

وقال : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ...(٢٧)﴾ [ص].

وقال : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥)﴾ [المؤمنون].

ولنا أن نتسـاءل : ما هو الحق الذى خلق به ولأجله الخلـق ؟ هل هو معنى مجـرد ؟ أم ظاهرة تعيش فـى كل ذرة من ذرات الكون، تتفـاعل وفق نواميـسه، وتنضبط وفق قانونه، وتسـير على نهجه ؟ أم هى نزعة مضادة تـتغاير مع مخلوق إلى أخر ؟

يقول ( ابن القيم الجوزية ):

والحق الذى خلق به ولأجله الخلق هو عبادة الله وحده التى هى كمال محبته والخضوع والذل له، ولوازم عبوديته من الأمر والنهى، والثواب والعقاب، ولأجل ذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الجنة والنار.

والسماوات والأرض إنما قامت بالعـدل الذى هو صراط الله الذى هو عليه، وهو أحب الأشياء إلى الله تعالى .

قال تعالى حاكيا عن نبيه ( شعيب عليه السلام) : ﴿ **إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** (٥٦) ﴾ [هود].

فهو على صراط مستقـيم فى شرعه وقدره، وهو العدل الذى به ظهر الخلق والأمر والثـواب والعقاب، وهو الحق الذى به وله خلقت السـماوات والأرض وما بينهما، ولهذا قـال المؤمنون فى عبادتهم ﴿ ... **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ** ... (١٩١) ﴾ [آل عمـران]، فنزهوا ربهم سبـحانه أن يكون خلق السـموات عبـثا لغـير حكمة ولا غاية محمـودة، وهو سبحانه يحمد لهذه الغايات المحمـودة كما يحمد لذاته وأوصافه، فالغايات المحمودة فى أفعاله هى الحكمة التى يحبها ويرضاها .

فمن اسـتقام على الطريقة كـان محبا، وأتاه الله ثواب الدنيـا وحسن ثواب الأخرة، ومن تنكب وجمح ونفر كان مبغـضا وكارها، فكان من أصحاب الجحيم وكلاهما : المحب والمبغض خاضع لنامـوس الإرادة فى الابتلاء، فقد قال تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ...(٢) ﴾ [الملك].

وقـال: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** (٧) ﴾ [الكهف].

وكلاهمـا - أيضا - فى حسن الثواب وسـوء العقـاب خاضع لإرادة الحق والعدل

وإذا ما دقـقنا فى حقـيقـة المتنكب لصراط الله سـبحانه، المبـغض الكاره، وجدناه محبا فى النهاية . . ! ! !

ولكن أى حب ؟؟

يقول اللـه سبحـانه وتعالى على لسـان ( إبليس ) : ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** (٣٩) ﴾ [الحجر].



ويقول : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف] .

فالتزيين من إبليس، وقعوده على الصراط المستقيم للإضلال والغواية، مخاطبة للذات والنفس الأمارة بالسوء، فهى انجذاب بالحب الكامن إلى وجهة أخرى . . . شيطانية ! !، ووقوع فى الحبائل والمصايد، وهو - على كل حال - تحقيق للإرادة الربانية العليا : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ ﴾ [الشمس] .

محبة الله - تعالى -

إن محبة الله - تعالى عملية إيجابية فيها الصعود والهبوط - منه وإليه - أو بعبارة أخرى . . فيها استمرارية السريان بين الحق والخلق، لا تتوقف ولا تجمد .

إنها محبة متبادلة بين الخلق والخالق - سبحانه - منه على خلقه، ومن خلقه إليه !

قال تعالى : ﴿ ... فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة] .

وعندما يمنح الخالق - سبحانه - هذه المحبة من يستحقها من عباده يجعل لهم الرحمن ودا - وينادى جبريل : إنى أحب فلانا . . فتحبه الملائكة ثم يوضع له القبول فى الأرض؛ لأن الله قد أحبه !

وهذا الحب المتبادل يقتضى توحيد المحبوب وإيثاره بالحب، وإفراده به، لأنه الخالق الأعظم وهو مانح الحياة فلا يشاركه فيها سواه ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة] .



ماذا تعنى بالهرمية ؟ وما هى نسبتها إلى الموضوع ؟

**الهرمية** : نسبة إلى الهرم، وهو طراز هندسى مـعين، تتسع قاعدته وتضيق ارتفاعا تدريجيا حتى تبلغ القمة فتكون نقطة .

وأحداره، أو مداميكه، أو طبقاته - سمها ما شئت - تتركز فى بنائها تستند إلى بعضها بنسبة من القوة والدعم والتماسك .

وهو من حـيث الشكل يشبـه الجـبل، سفـحه عـريض واسع ،و صخـوره ونتوءاته وحبـات ترابه يتراكب بعضهـا فوق بعض، ثم تضيق تدريجيـا حتى تبلغ الذروة، والرؤية من أسفليهـما ( الجبل والهرم )، محدودة البـعد النظرى، وكلما أرتقينا فـيهمـا امتد البـصر أبعد وغطى مـساحة أكبـر، وبدت المناظر أبهج وأوقع فينعكس ذلك على النفس راحة وبهجة وسعادة .

والبناء الهرمى أرسخ وأمتن وأقوى . . . .

وليـس فى الـتـضـاريس الطبـيــعـيـة الكونية ما يـضـارع الجبال رسـوا قال تعـالى : ﴿ **وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا** ﴿٣٢﴾ ﴾ [النازعات] وقال عز من قائل ﴿ **وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴿١٥﴾ ﴾ [النحل]، ونعنى بالرسو : القوة.

وفى عمليـة استطلاعيـة ميدانية لحـقيقة الحـب فى الكون نجد بناءها هرمى الشكل والمحتوى والغاية، خـصوصا من وجهة النظر الإسلامـية - الربانية - فهى تفيض وتتسع فى مـداها الأرضى لتشمل الوجود الإنسانـى كله، ثم تضيق وتضيق حتى تبلغ الذروة، متخلصة فى أدران الأرضية وشوائب المادية، فتكون قاب قوسين أو أدنى من الحضرة القدسية العلية، وسكون الحب لله وحده .

ولا تظنن أن التضيق فى الطبـقات المتصاعدة يعنى انكماشـا وانحسارا، أبدا . . . فالطبقة الأعلى تستند إلى ما دونها، كما قلنا سابقا، فى تلاحم واستكمال، واحتياج كل منها للأخر .

وأيضا فهى فى عملية سـمو وارتقاء، وتخلص . . . وإشراف أعم وأوسع . . . ولنبـدأ من الأول . من أول وحـدة بـشـرية على الأرض . . . فى أسـرة (أدم)- عليه الـسلام -، ذلك أنه منذ وُجِد بين الإنـسان الأول وبين الأرض حب وتعـاطف، فحين دب الشـقاق بين الأخـوين ( قابيل وهابيل ) ، ونفخ الشـيطان سمـومه وحـقده فى نفس ( قـابيل )، قدم كل منهـما قـربانا إلى . . . الله - تعالى.

وكان قربان ( هابيل ) كبشا، كما كـان قربان ( قابيل ) عشبا ونباتا، فالأول كان راعـيا يغـذو قطيـعه على عطاء الأرض، ومما تخـرج من النبات بأذن ربـها، والثانى كان فلاحا مزارعا يشق أديمها، ثم يستودع باطنها الحب . . .

كلاهما كان يتـعامل معها وتسرى منه إليهـا عاطفة الحب، ويدرك أن الغاية من وجوده تعامله مع الأرض، وأن مخزون عطائهـا مرجعه ومرده إلى الله تعالى؛ لذا كان قربان كل منهمـا عربون حب فى التوحيد والإخلاص متـوجها إلى البارئ الخالق - سـبحانه - ولسنا فى مـعرض الحديث عن حـقد قابيل على أخـيه هابيل ومبعثه، ولا عن القتل الذى حدث بعد ذلك، ولئن أثيرت فى وجهنا نزعة البغض والكراهية التى اسـتبدت بنفس ( قابيـل )فسولت له قتل أخـيه، وهذا يتناقض مع الحب، وينتقض به ا لمثل، فنقول ردا على ذلك بأن دموع الندم وصـحوة الضمير، آية الحب الكامن فى أعـماق الذات، فمـهما ران عليـه الشيطان فـلابد أن ينتفض ويصحو ويعود إلى أصالته وفطرته التى فطره الله - تعالى - عليها .

فالأرض بما فيها من جماد ونبات، هى حـية فى حقيقتها، وإن بدت ظاهرة الجمود والسكون، هذه الأرض أودع فيها فطرية التـعاطف والتواجد مع من يتعامل معها وفق النواميس والقوانين، قال تعالى :





﴿ . . .وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ﴾ [الحج] لمن . . . ؟ ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٣) ﴾ [النازعات].

و كذلك ما يدب عليها من حيوان، وما يحلق فى فضائها من طير ،و ما يغوص فى بحارها ومحيطاتها من حيتان وأسماك .

فالحيوان – مطلقا – منه ما هو مأكول مطعوم، قال تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦) ﴾ [المائدة]، ومنها ما هو لـلخدمة والزينة ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨) ﴾ [النحل] ومنه ما هو برى لا ينتفع به الإنسان عن طريق مباشر، إذ له فوائده ومنافعه وضرورته ،و لو بالتسلسل . . .

كل ذلك ميسر لما خلق له، وموظف فى شأن من شئون الكون والخلق، حسب التقدير والتدبير الإلهى العظيم، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وكل ذلك أيضا مرتبط مع الكون ،والإنسان خاصة، بقاعدة الحب مبدأ ومنتهى، فالمأكول مطعوم، يطلب فى ذبحه الرأفة، قال رسول الله ﷺ : (. . .ليرح أحدكم ذبيحته ، وليحد شفرته ).

كما نهى ( عليه الصلاة والسلام ) أن يتخذ كل ذى غرضٍ يرمى ،و لقد روى عنه ( ﷺ ) ( أن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها، فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض ). وما من قصة الرجل الذى كان بفلاة، وقد أجهده العطش، ثم وجد بئرا فنزلها وشرب منها، وحين صعد وجد كلبا ضالا قد أصابه من العطش ما كان قد أصاب الرجل، فعاد إلى البئر ونزع أحد خفيه وسقى الكلب، فغفر الله له . . . فما قصته ببعيدة أو مجهولة ! ! !

ولقد عقب ( عليه الصلاة والسلام ) إثر روايتها بقوله : ( فى كل كبد رطبة أجر ).

وكذلك قـوله ( عليه الصلاة والسلام ) لـبعض أصحابه حين نزعـوا فرخى خمـارة من عشهمـا، وقد عادت أمهـما تحوم حول العش وترفـرف : ( من فجع هذين بأمهما !!؟ )

فالرأفة والرحمـة - فى كل ما مر - إن هما إلا من مستـودع الحب ومنبعه، ومن فيض توقده وشعاعه.

ثم يتـرقى المسلم المحب ويعلو طبـقة . . . جـديدة . . . ليـتعـامل مع العنصر البشرى كافة، والإنسانى عامة . . . بروح صافية محبة ودودة . . .

وصدق الـبارئ عز وجل، إذ يـقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء] فـرسول الله ﷺ هو الذى وقف ذات يوم وقد مرت به جنازة ،احـتراما . . .، فقيل له ( إنهـا جنازة يهودى يا رسول الله !!، فقـال : أو ليست بنفس ) وهو الذى يوصى أمراءه وجنوده بألا لا يقتلوا طفلا أو شيخا مسنا أو امرأة . . .

وهو ( عليه الصلاة والسلام ) الذى كان يقول ( من عادى ذميا فقد عادانى، ومن عادانى فقـد عادى الله - تعالى - ) ويقول : ( من قتل ذمـيا لم يرح رائحة الجنة )

ثم يترقى المسلم فى حبه إلى محـيطه الأسرى الخاص، وهو مبحث طويل، نحاول بأذن الله تعالى أن نوفق بينه وبين ضرورة الموضوع ما أمكن.

**أولا : العلاقة الزوجية**

يقول الله سبـحانه وتعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الروم].

قد يكون الحب بين الطرفين : الزوج والزوجـة موجودا قبل الزواج، نـاشئا عن تعـارف وإعــجـاب، وتقـارب وتناسـق فى الطبـاع، واسـتلـطاف فى المزايا والتصرفات، قبل فترة الخطوبة أو بعدها، ثم ينـتهى النهاية الطبيعية المألوفة، وهذا أكثر ما عليه المجتمعات الآن .

وليس فى ذلك أدنى حرج من الناحية الشـرعية، شرط ألا ينفرد فى خلوة، أو يمارس لونا من ألوان الممارسة ( السينمائية ) ! ! أو الروائية ! !

والنظر إلى المخطوبة فى وضـعها المـنزلى العادى، دون بهجـة أو زينة أدعى إلى الاقتراب منها رغبة فيها، أو الابتعاد عنها نفورا منها .

ولقد قال رسـول الله ( ﷺ ) لأحد صحابته ( هلا نظرت إليهـا فإنه أحرى أن يؤدم بينكمـا ) و( هلا ) فـى اللغـة أداة من أدوات التـحـضـيض والحث على الطلب، فكأنما ( عليه الصلاة والسلام ) يؤكد طلب الرؤية على صاحبه . . .

الرؤية التى تتجاوز النظر السـطحى المجرد من مراقبة وملاحظة التـصرفات، إزاء الأشياء والأحداث، فلا تتوقف عند الإعجاب بالمظهر الخارجى فقط .

لماذا ؟

لأن الزواج ليس متعة جنسية، أو استـفراغ شهوة، أو استيلاد البنين والبنات فحسب، إنما هو بناء أسرة، وحدة إنسانية مصغرة . . . لبنة فى تكوين مجتمع، وحجر فى صرح أمة .

لذا . . .

نعود إلى قول الله تعالى ونتوقف عند ثلاث كلمات : ( لتسكنوا )، (مودة) و( رحمة ) . . .

وهى مـعـان ثلاث تدور عليـهـا وفى إطـارها عـلاقـات الطرفين : الزوج والزوجة، وهى أيضا عند التحقيق العميق ترى أنها تصدر من نبع الحب النمير .

أو إنها فى اسـتمراريـة سلوكها على مـدى عمر الزوجـين روافد تصب فى محيط الحب الذى يلف الكون والوجود من أقصاه إلى أقصاه.

إنها حلقة دائرية، أولها وآخرها، تبدأ بالحب وتنتهى به .




والرسـول الكريم (صلوات الله وسلامـه عليـه) يحرص على تمتين أواصـر الحب بين الزوج وزوجـته، فـيقـول : (خيـركم خيـركم لأهله[1]، وأنا خيـركم لأهلى).

والخيـرية تقتضى من غـير ريب دوام التعـاطف والتحاب، بالعطاء من غـير إسراف، والتدبير من غير تقتير، بالكلمة الحلوة والبـسمة الرقيقة، والمداعبة اللطيفة والغـيرة الصـادقة، والتجـمل والتـزين، وفوق ذلك كله برعـاية حق الله فى كل تصرف وعمل .

وحيث أن القوامة للرجل ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ... (٣٤) ﴾ [النساء] وحتى لا يفهم مفهوم القوامة على غير حقيقته، أو يحمل على غـير محـمله، يوصى رسول الله ﷺ الـرجال - الأزواج - بقوله الـشريف (استـوصوا بالنساء خيـرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج، وإن أعـوج ما فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيـمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاسـتوصوا بالنساء )و بالمقابل فـإنه (عليه الصـلاة والسلام) يرتفع بمفهـوم الطاعة والاحـترام للزوج عند الزوجة ارتفاعا بالغا، فيقول (لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها ).

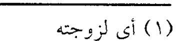
كل الذى مر بنا إن هو إلا مفهوم لحقيـقة أبدية راسخة لا بد وأن تتوافر بين الطرفين، فتتجلى حياتهما على أكمل صورة وأروع مثل .

## ثانيا : الزوجان والأولاد

. . . ويعلو المسلم المحـب درجة عندمـا يرزقـه الله تعـالى ثمـرة الزواج مولودا وترتفع أغصان دوحته صعودًا، وتمضى فى الفضاء سموًا وبسوقا .

و يشتد الحب بين الأبوين حنانا وعطاء ورعاية، ويأتلف قلبيـهما أكثر وأكثر اتحادا وفناء، ويـذوبان فى جو الكينونة الجـديدة وينصهران ،ويبـدو أن مع واسطة العقد خـلقا آخر . . . فؤاده الحب . . . وذاته الود . . . وروحـه الرحمة. . وجوارحه الرأفة .

(١) أى لزوجته





هذا التفانى فى العطاء : تدبيرا وتربيـة، هو رسالة الأبوة والأمومة، يغذوها الحب بكل ما ركب فى خاصيته، حتى يشتد عود المولود على سوقه ،ويأخذ سبيله فى دروب الحياة، ولكنـها رسالة لا تتوقف عند حد ولا يحـجزها عن المضى إلى غايتها حاجز . . .

وبالمقابل فإن ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾ [الإسراء].

**عزيزى القارئ :**

أرجو أن تلاحظ معى بدقة استهلال الأية الكريمة : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) فالعبادة لله وحده هى خالص الحب . . . وقمته وذروته، ثنى عز وجل بقوله : (وبالوالدين إحسانا) فـالإحسان إليهما نهير صغـير من غدير الحب يتدفق رقراقا . . .

ثم فصل - سـبحانه - كـيفيـة الإحسان، بالقـول والفعل، بالكلمة الطيـبة الكريمة، وخفض الجناح مع الرحمة .

وقال رسـولنا الكريم (صلوات الله عليه وسلامـه) لمن سأله عن أحق الناس بصحبته، (أمك . . . أمك . . . ثم أبوك) وقال أيضا (أنت ومالك لأبيك )

ويطول بنا البحث لو استعرضنا بالتفصيل القواعد والأصول التى تقوم عليها علاقة كل من الطرفين بالأخر، الأبوين والأولاد، وحقوق كل على الأخر .

ويكفينا القول بأن الحب، والحب وحده هو القاعدة الأساسية، أما العواطف الأخرى فـهى منبـثقـة عنه، وتتشكل من خـلاله، وتستـقى من ينبوعـه الذى لا ينضب.

**ثالثا : ذوو الرحم**

وهى درجة أو طبقة تمضى علوا . . .




فذوو الرحم أقـارب المرء وأهله، وإن شئت فقل هم أسـرته الكبرى . . .
والرحم مشـتقة من الرحمـة، فهى بحد ذاتها تـتضمن تلقائيـا معنى الود والحب، والكل يرجع إلى (الرحـمن - الرحيم) وفى حـديث قدسى، يقـول الله سبـحانه وتعالى للرحم : (أصل من وصلك واقطع من قطعك ).

ناهيك بالآيات البينات فى القران الكريم التى تحض على صلة ذوى الأرحام ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥) ﴾ [الأنفال] .

**المجتمع الإسلامى :**

ونمضى فى البناء الهرمى صعودا لنبلغ طبقة المجـتمع الإسلامى، فماذا يقول الله تعالى فى نوعـية العلاقـة التى تحكم أفراده، وما هى الوشـائج والصلات التى تشدهم بعضا إلى بعض ليكونوا وحدة متماسكة ؟ ؟

﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) ﴾ [المؤمنون].

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾[الفتح].

( إنما المؤمنون أخوة )

وغير ذلك كثير . . .

ولا حاجة بنا إلى التعليق، فإن فى مضامين آيات الله البينات ما يعجزنا عن الكلام، ويقصر بعباراتنا عن الإيضاح.

وماذا يقول الرسول الأكرم ﷺ ؟

( المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يثلمه )

( الدين النصيحة . . . لأئمة المسلمين وخاصتهم وعامتهم . . . )

( لا تؤمنوا حتى تحابوا . . .

وغير ذلك كثير أيضا .

فالحب - عـزيزى القارئ - كـما هو ملاحظ من مـدلولات الآيات الكريمة والأحاديث الشـريفة - هو القـاعدة العامـة الثابتة التى يرتكز عـليها بناء المجـتمع الإسلامى، أو بالأحرى مدماك جديد يعلو ويسمو بالمسلم المحب .

**الصفوة والقدوة**

وتطوى مسافات الزمن بالنسبة على كل مسلم محب، أى موقع تواجد فيه، ليسمو ويرتفع البناء الهرمى، يرتفع إلى الصـفوة والقدوة، إلى الصحابة - رضوان الله عليهم - أعـلام الهدى، ومنارة التقوى، الذين جاهدوا فـى الله حق جهاده، وكانوا الدعامـة الراسخة التى قام عليهـا صرح الإسلام .أولئك الذين هداهم الله فبهداهم نقتدي، وعلى محبتهم نمضى، الذين قال فيهم رسولنا الأمين :

( الله الله فى أصحابى، لـو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مـا بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ).

وقال فيهم أيضا :

( أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم )

( الصديق) و( الفاروق) و( ذو النورين) وفتـى الإسلام وبطله (على) وسيد الشهداء (حـمزة) وأمين الأمة (أبو عبيـدة) وسيف الله (خالد) و. . . و. . . ، رضى الله عنهم وأرضاهم.

ولا يكون الحب لهؤلاء الصفـوة نزعة تصوفية، نخـر عليها صما وعـميانا، تهتز بها المشاعر والأحاسيس، وتنهل المآقى بالدموع، بل تكون ترجمة حية عاملة، واقعية الحركة، تصل بين الحس والعقل والإرادة . . .

فإذا الحب حقيقة وليس تجردا، وفعلا لا وهما أو توهما .




ثم يدنو المسلم المحب فيتدلى، ويصبح قاب قوسين أو أدنى، ويشمخ بالبناء حتى يبلغ ما قبل الذروة، ويبدأ الاستعداد النهائى لعملية التوجه الخالص بالحب ويصيخ بالقلب والسمع والبصر، وبكل نبض فى كيانه إلى موحيات الله تعالى تستجيشه وتستقطبه حول الرسول الأعظم (ﷺ )

﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** (١٢٨) ﴾ [التوبة].

﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** (٤) ﴾ [القلم].

( محمد رسول الله )

( وخاتم النبيين )

﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا** ﴾ .

وغير ذلك كثير، يحفل به الكتاب الخالد . . .

ويقول الرسول الأكرم (ﷺ) : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه التى بين جنبيه ).

وتحضرنى حالة ذلك الصحابى الجليل الذى كان يردد أنه لا يطيق فراق النبى (ﷺ) فإذا ما ابتعد عنه قليلا بسبب من أسباب الحياة، معيشة أو عملا أو تفقد أهل، ألحت عليه نفسه بالشوق إلى رسول الله، فما يلبث أن يبادر إلى لقيا الحبيب - صلوات الله وسلامه عليه - كما تحضرنى واقعة ــــ مصعب بن عمير) - رضى الله عنه - مع أمه التى غاب عنها غيابا طويلا موحشا، بعيدا فى المدينة، فلما آب إلى مكة، وجاءها بعد لقاء المصطفى - عليه السلام - فبدأته بقولها : يا عاق . . . وراحت تعنفه على نكرانه لها، فقال : ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله ﷺ و( أم عمارة) - رضى الله عنها - . . .

سيدة من المسلمات المبايعات الأنصاريات ، تترس يوم (أحد) دون رسول الله (ﷺ) دفاعا عنه وافتداء له، ولقد أصيبت يومئذ بجراحات خطيرة .

فلما أبدى (عليه السلام) جزعه عليها قالت : ادع لنا يا رسول الله أن نكون رفقاءك فى الجنة، فدعا لها، فقالت ما أبالى بعد الآن، أوقع على الموت أم وقعت عليه .

**صور ونماذج تؤكد من غير ريب صدق الحب وحقيقته . . .**

وإذا ما كنا قد قلنا إننا لا نريد أن يكون حبنا للصفوة الأخيار من الصحابة الكرام نزعة صوفية، أو لحنا لنشيد أو قصيدة تطرب لها الأسماع دون أن يترجم إلى فعل حى نابض ،إذا ما قلنا ذلك فإن حبنا للنبى (ﷺ) أجدر وأولى . . . . .

ولتكون الوصلة التاريخية عبر الزمن متينة راسخة غير مهلهلة ولا مهزوزة، وليكون البناء الهرمى الذى عنينا متماسك الطبقات، متناسق التكوين، سامق الشموخ، فى ديمومة واستمرار .

وبعد . . . .

فإن رسول الله (ﷺ ) فى لفتة كريمة فى النبوة الصادقة وانسجاما مع الرسالة يوجهنا إلى حقيقة الحقائق فى الحب، إلى الحقيقة المطلقة ،إلى التوحيد أو خلوص التوحيد، إلى . . . حب الله تعالى . . .

يقول (عليه الصلاة والسلام ):

(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به )

وحب الرسالة بكليتها حب الله . . . طاعة وعبادة وخضوعا .

**الله - جل جلاله -**

ويبلغ المسلم المحب . . . الصادق الذروة، ويفنى كلية فى حب الله تعالى، فإن كل حركة من حركاته وكل سكنة من سكناته، بل كل لفتة من لفتاته



وخلجة من خلجات أنفاسه تنطق بحب الله، خافضة رافعة . . . عاملة ناصبة . . . جاهدة مجاهدة .

يتعـامل مع الوجود كـله بحب الله تعالى، ووفق نامـوس الحب الذى يلف هذا الوجود، ثـم يوقظ النبى، ﷺ فى نفوسنا مـا غفـا وتخدر من قواعـد المنطق وأصول التسلسل، وما أخلد من عـالى الأشواق إلى الأعماق، وتمكنت منه نوازع الدنيا فلم يحلق فى الأجواء، يعلنه عليه الصلاة والـسلام، وحيا كريما متنزلا على قلبه الشريف .

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ... (٣١) ﴾ [آل عمران].

ومحبة العباد لله تقتضى حب الله - تعالى - لعباده، ومن ثم يكون التعامل الكلى فى الوجود مع الذات الإلهية ومنها بالحب، وبالحب وحده



( قال " سعيد بن عقبة " لأعرابى : ممن الرجل ؟ قال : من قوم إذا عشقوا ماتوا . . . ، قال : عذرى ورب الكعبة، فقلت له : ومم ذاك ؟ قال : فى نسائنا صباحة وفى رجالنا عفة )

( وقال " سفيان بن زياد " : قلت لامرأة من " عذرة " ورأيت بها هوى غالبا خفت عليها الموت منه : ما بال العشق يقتلكم معاشر " عذرة " من بين أحياء العرب ؟ فقالت : فينا جمال وتعفف، والجمال يحملنا على العفاف، والعفاف يورثنا رقة القلب، والعشق يفنى آجالنا، وإنا نرى عيونا لا ترونها ).

فإلى (بنى عذرة) هؤلاء ينتمى الحب العذرى، وهم حى من أحياء الأعراب، أبناء البوادى، اشتهرت نساؤهم بجمال بدوى فطرى، كما نبغ فيهم شعراء أفذاذ، قل أن قالوا شعرا فى الغزل والتشبيب، أو ما يترتب على فقد الحبيب من رثاء ونحيب .

ولقد كان عشقهم من طراز خاص ونسق فريد تألقت فيه العاطفة النبيلة وصدقها، وتجلت فيه نوازع العفاف والطهر، ثم وقفوا به عند هذا الحد لا يتجاوزونه، حتى ولو لم يكن هناك مانع من موانع الوصال الشرعى، كأن تكون المعشوقة متزوجة، أو أن أولياءها يحولون دونها ودون حبيبها . . .

علما بأنه كان من مألوف العادة عند آباء الفتيات أن يمتنعوا عن قبول العاشق زوجا لفتاتهم إذا ما شبب بها وتغزل .

لقد كمن العشق بحد ذاته غاية وغرضا، ولو أفضى بالعاشق إلى الجنون أو المرض أو الموت ! ! !

والذى يلاحظ من أقوالهم وأفعالهم، أو مأثور شعرهم، أن ظاهرة العفاف عند بعضهم أو أكثرهم ،إنما تنبع من حقيقة الإيمان، وحفظ حدود الله، وما من

شك أن الأمر قد اختلط عليهم، أو أطوحوا من عواطفهم ومشاعرهم فى أجواء الخيال والوهم، والمثالية التى لا تتفق مع النوازع الفطرية والغريزية فى الكيان الإنسانى، كما غاب عنهم ما قال النبى المصطفى ﷺ عن أن النهاية الطبيعية لكل متحابين هى الزواج، ولا أليق من ذلك ولا أكمل .

وللعذريين نوادر كثيرة ووقائع وفيرة، حفلت بها كتب الأدب والتاريخ، وهى على كثرتها تشعر معها بتكرار المعنى الواحد، وإن اختلفت ألفاظها وصورها وتغير أسماء أبطالها .

منها على سبيل المثال :

( قال أبو عبيدة - معمر بن المثنى : قال رجل من " بنى فرازة " لرجل من " بنى عذرة " : ما يعد موتكم من الحب مزية . . وإنما ذاك من ضعف البنية ووهن العقل وضيق الرئة، فقال له العذرى : أما لو رأيتم المحاجر البلج، ترشق بالأعين الدعج، من فوقها الحواجب الزج، والشفاه السمر تفتر عن الثنايا الغز، كأنها نظم الدر، لجعلتموها اللات والعزى ونبذتم الإسلام وراء ظهوركم)

( وقال " ابن احمر " : بينما أنا أطوف بالبيت إذا أبصرت بامرأة متبرقعة تطوف بالبيت وهى تقول :

**لا يقبل الله من معشوقة عملا　　　يوما وعاشقها غضبان مهجور**

**ليست بمأجورة فى قتل عاشقها　　　لكن عاشقها فى ذاك مأجور**

فقلت لها : فى هذا الموضع ؟ فقالت : إليك عنى لا يعلقك الحب، قلت: وما الحب ؟ قالت : جل والله عن أن يخفى، وخفى عن أن يرى، فهو كالنار فى أحجارها، إن حركته أورى، وإن تركته توارى، ثم أنشدت :

**غيد أوانس ما هممن بريبة　　　كظباء " مكة " صيدهن حرام**

**يحسبن من لين الحديث أوانسا　　　ويصدهن عن الخنا الإسلام**

وقال أخر :

وأسـألهـا الحـلال وتدع قـلبى إلـى مـالا أريـد مـن الحـرام

كـداعـى أل فـرعـون إلـيـه وهـم يـدعـونه نحـو الأثـام

فظل مـنعـمـا فى الخـلد يسـعى وظلوا فى الجـحـيم وفى السـقـام

وقالت إحداهن :

لا خيـر فـيـمـن لا يـراقـب ربـه عنـد الهـوى ويـخـافـه إيمـانا

حـجب ألتقى سبل الهـوى فـأخو التـقى يخـشى إذا وافى المعـاد هـوانا

وحسبنا هذا القدر من الشواهد والأمثلة، ونعود لنؤكد بأن الهوى العذرى فذ فى بابه، طوته المثالية الخيالية تحت جناحيها ومضت به فى غياهب التاريخ .

يظل الحب (المألوف المعهود) ضمن إطاره التجريدى الهوائى فى مسربة الوهم والخيال مهمـا عانى صاحبه من ألوانه وأشكاله، ومهمـا لاقى من لواعجه وألامه، صبابة وعشقا ودنفا . . . وصدودا . . . وهياما . . .

يظل كذلك ما لم يتحقق واقعيا . . .

ويظن البـعض - وهما - أن الحب ينتهـى بالوصل، وقضاء اللبـانة، وبلوغ الوطر، وهذا ولا شك فيه الصوابية إن عنينا بالحب صـورتهالدنيا النابعة من حمأة العزيزة، فإذا ما أطفئت نار الشوق بالوصل - حـراما أو حلالا - خمدت الجذوة، وسكن اللهب . . .

لكن الحب الأصيل، الحب الحقيقى - وأيضـا بالمعنى المألوف المعهود - فإنه لا يتنهى عند هذا الحد الحيوانى، بل يظل متألقا مـشرقا، وما إفراغ الغريزة والطاقة والشهوة إلا ظاهرة طبيعية، وفصلا محدودا فى حكاية الحب التى لا تنتهى .

و موقـفان نقـفهـما مع رسـول الله ﷺ يبلوران هذا المفهـوم ويرفعـانه من وهدته، ويقطعان السبيل على كل انحراف لمفهوم خاطئ .

أما أولهما فهو قـول المصطفى (ﷺ) : (لا يقع أحدكم على امرأته كالحمار بل يبدؤها بقبلة أو لمسة أو مداعبة )

فالعطش الجنسـى محفـوف بمخاطر الحيـوانية والبهـيمية، وحتى لا يكون الطرفان (الزوج والزوجة) فى دائرة ذلك الشبق، وينسيان من ثم روحيهما وسموها إلى آفاق استمرارية الحب، كان التعامل اللطيف بالقـبلة واللمسة والمداعبة مقدمات تنبئ عن ذلك، وتنميه أو تغذيه، وتعطيه الدفق الدائم .

حتى لقد فـهم ذلك بعض المفسرين من قوله تعـالى : (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم )



وأمـا الموقف الثانى فـهـو صيـرورة العمليـة الجنسـية بين الزوج والزوجـة صدقة!!! ولقد سئل نبينا (ﷺ) عن ذلك فى تعـجب ودهشة من قبل سامعيه من الصـحابة - رضوان الـله عليهم - فـأكده لهم بقـياس منطقى بديع، حـين حول الإستفهام إلى جواب، سائلا إياهم عمـا يؤول إليه الأمر لو كان إفراغ الشهوة كان فى حرام ؟ ! !

و كنا تحدثنا من قـبل عن الحب العذرى، تمهيدا لما نحن بصـدده عن المفهوم التـجريدى، الذى يناقض كل المـناقضـة السوية الخلقـيـة البشـرية، ونظام الحيـاة وقواعـدها وقد يميل الإنسـان إلى الاستـئناس به نادرة فى كتـاب، أو أسطورة فى سـفر، ويسـر به ويفرح، لكنـه فى أسطوريته لا يتـحقـق فى الواقع على سبـيل التجربة، إن زاغ بأحد القارئين البصر، أو مال به العقل عن جادة الصراط السوى، ووقع فى حبائل الوهم والخيال . . . والجنون فأحب أن يقلد .! ! !

روى " طاوس " عن " ابن عـبـاس " - رضى الله عـنهـمـا - عن النبى (ﷺ) أنه قال " لم أرَ للمتحابين مثل النكاح "



## الفصل الثالث

# قضاء من الرحمن

قال الشاعر فى حبيبته " سلمى " :

**يلومونني فى حب سلمى كأنــما**

**يرن الهوى شيئا تيممته عمـــدا**

**ألا إنما الحب الذى صدع الحشا**

**قضاء من الرحمن يبلو به العبدا**

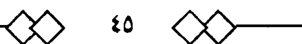
### الدواعى والأسباب

### لماذا نحب.

١ - حكى البخـارى فى صحـيحه قـصة " بريرة " - ملاة " عـائشة " - رضى الله عنها - وكيف أن زوجهـا " مغيثا " كان يمشى خلفها بعـد فراقها له . وقد صارت أجنبية عنه، ودموعه تسـيل على خديه، فقال النبى ﷺ (يا عباس ألا تعجب من حب " مغيث " " بريرة " ومن بغض " بريرة " مغيثا ؟ ثم قال لها: لو راجعتيه ؟ فقالت : أتأمرنى ؟ فـقال : إنما أنا شافع . . . فقالت : لا حاجة لى فيه )، ولم ينهه عن عشقها فى هذه الحال .

وسواء أكـان النكاح كان خـاتمة لعشق سابق وحب مـتأجج، أم كـان اتحاد جسدين وروحين فى بوتقة الحب .

وتستوقفنى عبارة القران الكريم (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) ففى التعبير باللباس لفتة تشدنى إلى أكثر مما ذهب إليـه أكثر المفسرين بأن الزوجين يتجردان فى حالة الجماع فيـستر أحدهما الأخر كاللباس . . . ونسـوا أن اللباس لا يقصد به ستر العورة فقط . . . بل يتعداه إلى الدفء، فكأن الحرارة التى فى الزوجين من



موصل واحد هو الحب يسرى من أحدهما إلى الآخر . . ،ونسوا أيضا أن اللباس للتجمل، أناقة ومظهرا وزينة، فكلا الزوجين بحسن علاقته ولطف معاملته، وحدبه وحنانه، يزين ويجمل أحدهما الأخر - أيضا - ويعطى من ثم إلى الأبناء المثل الطيب والمقدرة الصالحة، وإلى المجتمع نموذجا كريما .

و تتكامل واقعية الحب بالشمولية، والخروج بها من حيز وحدود المفهوم المألوف الضيق، تتكامل بانطلاقها إلى رحيب الأفاق فى كل الوجود، وتعرج دائما إلى خالق الوجود فى كل ما يأتى الإنسان ويدع، ويعيش الفرد حياته محبا محبوبا، ثم ينقلب إلى ربه مع الذين أنعم عليهم بنعمة الحب، فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

٢ - وقال الشاعر :

**ليس خطب الهوى بخطب يسير** ... **ولا ينبيك عنه مثل خبير**

**ليس أمر الهوى يدبر بالرأى** ... **ولا بالقياس والتفكير**

**إنما الأمر فى الهوى خطرات** ... **محدثات الأمور بعد الأمور**

ونعود إلى تساؤلنا : لماذا نحب ؟

وهو تماما مثل قولنا : لماذا نأكل ؟ أو لماذا نام ؟

والجواب من مأتى واحد هو الفطرة، فطرة الله التى فطر الناس عليها، سواء أكان ذلك من حاجات البدن الغريزية، وإحساسه بالضرورات والأسباب ،ثم ميله إلى شئ ونفوره من أخر، أم كان ذلك من ناحية المزاج النفسى والعصبى والحسى وتأثره بالمشاهدات أو الأصوات أو الروائح، سلبا أو إيجابا، إقداما أو إحجاما، حبا أو كرها . ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾ .

فالتسوية والإله، بالنسبة إلى النفس، أمران فطريان قد ركبا فيها بتدبير من الخالق عز وجل، وحب الشئ ونقيضه متأصلان فيه، ثم تكون التبعة بعد ذلك فى الاختيار السوى الذى لا يضر بالإنسان فردا ومجتمعا، دنيا وآخرة .

حتى المنهج السوى الذى يؤمن السلامة قد تحدد وتوضح فى تصوراته العامة وجْزيئـاته المفصلة الدقيـقة، ولا نريد أن ننحى بالبحث منـحى آخر، لكننا نود أن نقول بأن أساس التركـيب النفسى والفطرى قدر وحكمة لا مجال فى مناقـشتها إلا من خلال الأعمال الإختيارية التى تنبثق عنها ﴿ **قد أفلح من زكها وقد خاب من دسها** ﴾ والإنسان بدنا وروحـا ،كل لا يتجـزأ، وكيان مـتكامل متناسق فـيه كل مـعطيات كينونته، وتتـأثر كلها تحت ضغط عامل واحـد هو النفس . . . ألا ترى مثلا أن الانقباض وعسر الهضم ينتج عن تهـيج عصبى وتشنج نفسى . . .، وأن الدموع تسيل على الخـدين فى حالة الحزن ،و أن انبـساط الأسارير وانفراج الشـفتين ناتج عن سرور . . .

قد يـغضب أحـدنا فينقطع عن الأكل أو يزداد شـراهة ! ! ! وقد يغـضب فيقلق ولا يعرف الرقاد سبيلا إلى جفنيه، أو يهرب إلى النوم العميق ! ! !

فالصلة بين البدن والنفس فى التأثر والحركة والإعراب متوحدة متجانسة .

عاطفـة الحب - مطلقا - كامنة فى الـنفس، فعندما تجـيش وتتأثر تحت داع معين أو سبب معين، تترجمها الجوارح حركة وفعلا .

ومن عـجب أن تكون أجـهزة الاسـتـقـبال أحـيـانا هى أجـهزة الإرسـال نفسـها،كـالعين - مثـلا - فحين ترى المنظر أو المشـهد او الصورة، تعكـسه على صفـحة النفس، فإن كان الإعـجاب اتسعت الحـدقتان وازداد التحـديق، وإن كان الاشمـئزاز ضاقـت فى عملية عـصبيـة تشرك بهـا معهـا عضـلات الخدين والفم والأنف، وهو ما نسميه بالعامية (التكشير )

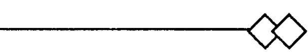
وعندمـا نسـمع كلمة أو عـبـارة أو لحنا . . . (أى صـوت) وعندما كـان الإعجاب والاستحسان أصغينا واسـتزدنا وإذا كان عكسه ملنا إلى غيره، حتى نجد ضالتنا وهوانا .

وما نزال نجول مع النفس حتى تقع على هواها وتجد بغيتها، فتستقر عنده.

إذا . . .

﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦) ﴾ [الإسراء].

مسئولية اشتراك ،ومسئولية حساب؛ لأن النفس حسب القواعد التربوية المنهجية والأصالة الربانية تزكو بالتهذيب والتدريب، وعلى هذا فيمكن لعاطفة الحب الكامنة فيها أن تترقى . . . أو أن تهبط .



يقول ابن القيم الجوزية فى كتابه : (روضة المحبين ونزهة المشتاقين ):

(فى ذكر مناظرة بين القلب والعين، ولوم كل منهما صاحبه، والحكم بينهما)

(لما كانت العين رائدة، والقلب باعثا وطالبا ،و هذه لها لذة الرؤية، وهذا له لذة الظفر، كانا فى الهوى شريكى عنان.

ولما وقعا فى العناء، واشتركا فى البلاء، أقبل كل منهما يلوم صاحبه ويعاقبه، فقال القلب للعين :

أتت التى سقتنى إلى موارد المهلكات، وأوقعتنى فى الحسرات، بمتابعتك اللحظات، ونزهت طرفك فى تلك الرياض، وطلبت الشفاء من الحدق المراض ، وخالفت قول أحكم الحاكمين (قل للمؤمنين) وقول رسول الله ﷺ (النظر إلى المرأة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركه من خوف الله عز وجل أثابه الله إيمانا يجد حلاوته فى قلبه )[1].

و قال (عمر بن شبة) : حدثنا (أحمد بن عبد الله بن يونس) حدثنا (عنبسة بن عبد الرحمن القرشى) حدثنا (أبو الحسن المدنى )حدثنا (على بن أبى طالب) رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (نظر الرجل فى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس مسموم، فمن أعرض عن ذلك السهم أعقبه الله عبادة تسره ).

فمن الملوم سوى من رمى صاحبه بالسهم المسموم ؟ أو ما علمت أنه ليس شئ أضر على الإنسان من العين واللسان ؟ فما عطب أكثر من عطب إلا بهما، وما هلك أكثر من هلك إلا بسببهما، فلله كم من مورد هلكة أورداه، ومصدر ردى عنه إصداره، فمن أحب أن يحيا سعيدا أو يعيش حميدا فليغض من عنان طرفه ولسانه ليسلم من الضرر، فإنه كامن فى فضول الكلام وفضول النظر .

(1) رواه أحمد.



وقد صرح الصادق المصدوق بأن العينين تزنيان، وهما أصل زنا الفرج، فغنهما له رائدان وإليه داعيان، وقد سئل رسول الله (ﷺ) عن نظرة الفجأة فأمر السائل أن يصرف بصره، فأرشده إلى ما ينفعه ويدفع عنه ضرره وقال لابن عمه (على) رضى الله عنه محذرا له مما يوقع فى الفتنة ويورث الحسرة : (لا تتبع النظرة النظرة ).

أو ما سمعت قول العقلاء : (من سرح ناظره أتعب خاطره، ومن كثرت لحظاته دامت حسراته، وضاعت عليه أوقاته، وفاضت عبراته ).

وقول الناظم:

**نظر العيون إلى العيون هـو الذى ... جعل الهلاك على الفؤاد سـبيلا**

**ما زالـت اللـحظات تغزو قلبـه ... حتى تشحـط بينهـن قتيـلا**

وقال أخر :

**تمتعتـما يا مقـلتى بنظرة ... وأوردتـما قلبـى أمـر الموارد**

**أعينى كفا عن فؤادى فإنه ... من الظلم سعى اثنين فى قتل واحد**

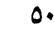
قالت العين :

ظلمتنى أولا وآخرا . . . وبؤت بإثمى باطنا وظاهرا، وما أنا إلا رسولك الداعى إليك، ورائدك الدال عليك . . .

**وإذا بعثت برائد نحو الذى ... تهوى وتعتبه ظلمت الرائدا**

فأنت الملك المطاع ،و نحن الجنود والأتباع، أركبتنى فى حاجتك خيل البريد، ثم أقبلت على بالتهديد والوعيد، فلو أمرتنى أن أغلق بابى، وأرخى على حجابى، لسمعت وأطعت، ولما رعيت فى الحمى ورتعت .

أرسلتنى لصيد قد نصبت لك حبائله وأشراكه ،واستدارتا حولك فخاخه وشباكه، فغدوت أسيرا بعد أن كنت أميرا وأصبحت مملوكا بعد أن كنت مليكا .




هذا وقد حكم لى عليك سيد الأنام وأعدل الحكام (ﷺ) حيث يقول : **(إن فى الجسد مضـغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فـسد الجسد كله، ألا وهى القلب ).**

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قوله ﷺ :

**( القلب ملك والأعـضاء جنوده، فـإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خـبث الملك خبث جنوده).**

ولو أمـعنت النظر لعلمت أن فسـاد رعيـتك بفـسادك وصلاحـها ورشـدها برشـادك، ولكنك هلكت وأهلـكت رعيـتك، وحـملت على الـعين الضـعيـفـة خطيئـتك، وأصل بليتك أنهـا خلا منك حب الله وحب ذكـره وكلامه وأسـمائه وصفاته ،وأقبلت على غيره وأعرضت عنه، وتعوضت بحب من سواه والرغبة فيه منه .

هذا وقد سمعت ما قص عليك من إنكاره سبحانه وتعالى على بنى إسرائيل استـبدالهم طعامـا بطعام أدنى منه فذمـهم على ذلك ونعاه عليهم فـقال سبـحانه وتعالى : ﴿ ... أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ... (٦١) ﴾ [البقرة] فكيف بمن استبدل بمحبة خالقه وفاطره، ووليه ومالك أمره ،الذى لا صلاح له ولا فلاح ،و لا نعيم ولا سرور، ولا فرحة ولا نجاة ،إلا بأن يوحده فى الحب ويكون أحب إليه مما سـواه، فانظر بالله من استـبـدلت ؟و بمحـبة من تعـوضت ؟ رضيت لنفـسك بالحبس فى الحشا، وقلوب محببـة تجول حول العرض، فلو أقبلت عليه وأعرضت عمن سـواه لرأيت العجـائب ،و لأمنت من المتالف والمعاطـب، أو ما علمت أنه خص بالفوز والنعـيم من أتاه بقلب سليم، أى سليم مما سواه، ليس فى غيـر حبه واتباع رضاه .

وبين ذنبى وذنبك عند الناس كمـا بين عماى وعماك فى القيـاس، وقد قال من بيده أزمة الأمور : ﴿ ... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) ﴾ [الحج].

وهنا يتدخل( ابن القيم الجوزية) فيصور الكبد حكما بين القلب وبين العين، فيقول : (فلما سمعت الكبد تحاورهما الكلام، وتناولهما الخصام، قالت : أنتما على هلاكى تساعدتما وعلى قتلى تعاونتما، ولقد أنصف من حكة مناظرتكما، وعلى لسانى متظلما منكما :

**يقول طرفى لقلبى هجت لى سقما — والعين تزعم أن القلب أنكاها**

**والجسم يشهد أن العين كاذبة — وهى التى هيجت للقلب بلواها**

**لولا العيون وما يجنين من سقم — ما كنت مطرحا من بعض قتلاها**

**فقالت الكبد المظلومة : اتئدا — قطعتمانى وما راقبتما الله**

وقال أخر :

**يقول قلبى لطرفى إن بكى جزعا — تبكى وأنت قد حملتنى الوجعا**

**فقال طرفى له فيما يعاتبه — بل أنت حملتنى الأمال والطمعا**

**حتى إذا ما خلا بصاحبه — كلاهما بطويل السقم قد قنعا**

**نادتهما كبدى :لا تبعدا فلقد — قطعتمانى بما لاقيتما قطعا**

وقال أخر :

**عاتبت قلبى لما — رأيت جسمى نحيلا**

**فألزم القلب طرفى — وقال : كنت رسولا**

**فقال طرفى لقلبى — بل كنت أنت الدليلا**

**فقلت كفا جميعا — تركتمانى قتيلا**

ثم قالت أنا أتولى الحكم بينكما، أنتما فى البلية شريكا عنان، كما أنكما فى اللذة فرسا رهان، فالعين تلتذ، والقلب يتمنى ويشتهى، ولهذا قال فيكما القائل :

**ولما سلوت الحب بشر ناظــرك ... لقلــبى فقــال القلب : لى ولك الهــنا**
**تخلصت من إحياء ليلك الســاهر ... وخلصتنى من لوعـــة الهجر والضنـــا**
**كـــلانا مهـــنى بالبقاء فإن تعـد ... فـــى أنــت يبــقيــك الغــرام ولا انـــا**

و إن لم تدرككما عناية مـقلب القلوب والبصار، وإلا فمـالك من قوة ولا للقلب من قرار، قال الشاعر :

**فـــوالله ما أدرى أنفســـى ألومـــها ... على الحب أم عينى المشومة أم قلبى**
**فإن لمت قلبى قالت لى العين أبصرت ... وإن لمــت عينى قـــالت الذنب للقلب**
**فعينـــى وقلبى قد تقاسمتـــما دمـــى ... فيـــارب كن عونا على العيـــن والقلب**

قالت : ولما سـقيت القلب مـاء المحبة بكئـوسك، أوقدت عليـه نار الشوق فارتفع إليك البخـار، فتقاطر منك فشرقت بشربه أولا، وشـرقت بحر ناره ثانيا، قال :

**خذى بيدى، ثم اكشفى الثوب فانظرى ... ضنى جسمى لكننى أتستـــر**
**وليس الذى يجرى من العيـــن مـــاؤها ... ولكنها روح تذوب فتقطـــر**

قالت والحاكم بينكما الذى يحكم بين الروح والجسـد إذا اختصما بين يديه، فإن فى الأثرالمشهـور : **(لا تزال الخصومة يوم القـيامة بين الخلائق حـتى تختصم** الروح والجسد، فيـقول الجسد للروح : أنت الذى حركتنى وأمـرتنى وصرفتنى ،و إلا فأنا لم أكن أتحرك ولا أفعل إلا بدونك، فـتقول الروح له : وأنت الذى أكلت وشربت وباشـرت وتنعمت، فـأنت الذى تستحق العـقوبة، فيـرسل الله سبـحانه وتعالى ملكا يحكم بينهما فيقول : مثلكمـا مثل مقعد بصير وأعمى يمشى، دخلا بستانا فقـال المقعد للأعمى : أنا أرى ما فيه من الثمـار ولكن لا أستطيع القيام ،و قال الأعـمى : أنا أستطيع القـيام ولكن لا أبصر شـيئا، فـقال له المقعـد : تعال فاحملنى فأنت تمشى وأنا أتناول .

فعلى من تكون العقوبة ؟ فيقول عليهما : قال : فكذلك أنتما .

وبعد . . .

فلقد نقلت هذا الحوار ،أو المناظرة كما شاء أن يسميها صاحبها، بتمامها لجديتها من ناحية، ولطرافتها من ناحية أخرى .

ويبدو أننا لا نختلف معه فى (شراكة) العين والقلب بالمسئولية، فالقلب أو النفس . . . أو الذات . . . مكمن هذه العاطفة، أو الضرورة الفطرية، والعين وسيلة أو رسول أو أداة موصلة ،و هى على التحقيق جهاز لا قط ومرسل فى آنٍ معا يستقبل موجات الإعجاب والاستحسان ويبلغها للقلب، وبعد التجاوب تزداد النبضات وتهتز الأوتار، فتحمل العين ردة الفعل . . . وبسرعة . . . وهنا يستلفت نظرنا تشبيه الرسول ﷺ النظرة بالسهم .

أما (لغة العيون) أو (همس الجفون) كما يحلو للبعض أن يسميها فى قاموس هذه العاطفة ومتفرعات علائقها، فهو تعبير يتضمن فى رأينا أعلى نسبة من الصدق والحق، فإشاعاتها المتبادلة تغنى الطرفين عن الكلام، لأنها تعبر عما يجيش فى نفس كليهما من رغبات .

وأيضا فإن سحر العيون له تأثيره واقتداره، وفعاليته وانتصاره.

قال جرير :

**إن العيون فى طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا**

**يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا[1]**

ألا ترى أن المدخل إلى (التنويم المغناطيسى) هو تسلط إرادة المنوم على الوسيط من خلال التحديق فى عينيه، حتى يسلبه إرادته ثم يطوعه .

لكن (ابن القيم الجوزية ) لم يعرج على مسئولية الأذن، إما إنها فاتته وإما أنه له فيها رأى، غير أننى لم أقف على رأى له فى هذا الشأن، علما بأن الأذن

---

(١) إنسان العين : سوادها وفى العبارة كناية لطيفة

مسئوليتها أساسية، فقـد تقع العين على وجه مليح يستهوى القلب فيميل له، فإذا ما كان الحديث والمناجاة تصدرت الأذن الدور والمقـام، ولعل شيئا من نبرة الصوت أو أسلوب الكلام أو نضـوج العقل، يحـوى من النشاز وسـقط العبـارة وسخف التفكيـر ما يجعل القلب يميل عنه ويأنف منه، والعـكس بالعكس - ويصدق على ذلك الأعمى الضـرير - فمن لا يرى ولا يبـصر إنما يتحـسس بأذنه ما يهـواه قلبه ويميل إليه ،ولقد قدم الشاعر (بشار بن برد)الأذن على العين كرائد للقلب، فقال:

**يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا**

و نحب أن نخـتم الجدل بما يحسـم، فنقول: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** (٣٦)﴾ [الإسراء] - صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

**﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ . . . (٣١) ﴾** [النور] .

أما الثانية فعليك .

روى الإمام (أحمد بن حنبل) - رضى الله عنه - فى مسنده عن النبى ﷺ أنه قال : (**النظرة سهم من سهام إبليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه حلاوة يجدها إلى يوم يلقاه** ) .

ولقد قال عليه الصلاة والسلام للإمام (على) - كرم الله وجهه - (**يا على لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الثانية** ) .

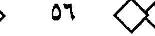
وأثر عنه ﷺ أنه سئل على نظرة الفجأة فأمر بصرف البصر لا بتكرار النظر؛ لأنه عليه الصلاة والسلام علم أنه - أى نظر الفجأة - يؤثر فى القلب فأمر بمداومته . (وهو من حديث جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - ) .

وفى الصحيح عنه ﷺ : أنه قال : (إن الله عز وجل كتب على إبن أدم **حظه** فى الزنا أدرك ذاك لا محالة، فالعين تزنى وزناها النظر، واللسان يزنى وزناه الناطق، والرجل تزنى وزناها الخطى، واليد تزنى وزناها البطش، والقلب يهوى ويتمنى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه )

وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - : (**الشيطان من الرجل فى ثلاثة : فى نظره وقلبه وذكره ،و هو فى المرأة فى ثلاثة : فى بصرها وقلبها وعجزها** ).

**لماذا الأولى لك ؟**

لأنها حركة غير إرادية، فلا تدخل تحت طائلة الحساب والعقاب، وهى التى سماها الرسول ﷺ نظر الفجأة .



تصدمك الصـورة تلقائيا مـن غير نازع ولا دافع ولا قـصد، . . . عندها تكون مأمورا بغض البصر، ومعنى ذلك أن نظرك قد سبقك على الصورة على غير سـعى منك ولا إرادة، فإن أعـدت الكرة كانت الـثانيـة عليك . . ؛ لأن النفس الأمارة بالسـوء قد تحركت فيـها كوامن الشـيطان، والتهبت مـعها غريزة الشـهوة وبدأت وساوس إبليس وكيـده يأخذان طريقهما إلى قلبك وفؤادك، ويغـشيان على بصيرتك وعقلك .

وإنى لأتوقف عند قول الله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ . . . فأرى أنه عز وجل اختـصر الموضوع وأوجزه، دونما تطويل فى تحليل لسريـان السم من العين إلى النفس إلى الشهـوة . . .إلى الفرج . . . بل من العين إلى الفرج مباشرة . . . وهذه هى الحقيقة، وتلك هى المعادلة ! ! !

**( ذلك أزكى لهم )**

أطهر لقلوبهم ونفوسهم وجوارحهم.

فلا تخالط القلب الحسرة والندامة أو التأوه والتوجع .

قال الأصـمعى : رأيت جارية فى الطواف كـأنها مهـاة فجعلت أنظر إليـها وأملأ عينى من محاسنها، فقالت لى : يا هذا . . . ما شأنك ؟ قلت وما عليك فى النظر ؟

فأنشأت تقول :

**وكنت متى أرسلت طرفك رائـدا        لـقـلـبك يـوم أتعبـتـك المناظـر**

**رأيـــت الذى لأكـــله أنـــت قادر        عليه ولا عن بعضه أنت صابـــر**

ولا تشتعل النفس بضرام الشهوة، أو تلتـسع الجوارح بسياط الشبق، فالنظرة وتكرارها بمنزلة الشـرارة ترمى فى القش والعـيدان، فـإن لم تحـرقه كله أحـرقت بعضه.

قال الشاعر :



كـــل الحـوادث مــبـدأها مــن النظر ومـعظم الـنار من مـسـتـصـغـر الشـرر

كم نظرة فـتكـت فى قلب صـاحـبـهـا فـتـك السـهـام بلا قــوس ولا وتـر

والمـرء مـا دام ذا عــيــن يقلبــهـا فى أعين الـغـيـد مـوقـوف عـن الخطر

يسـر مـا قلـتـه مـا ضـر مـهـجـتـه لا مـرحـبـا بسـرور عـاد بالضـرر

وقال أخر :

يا من يرى سقمى يزيد وعلـتى أعيـت طبـيـبـى

لا تعجبـن فهكـذا . . . تجنى العيون على القلوب

**( تلك حدود الله )**

طالما أن الفرد المسلم يلتزم فى علاقاته وتصرفاته مع نفسه ومجتمعه بحدود الضوابط التى رسمت له وشرعت لمصلحته، فهو فى دائرة الحل وفى محيط المباح الذى يتيح له الراحة والأمن والأمان ،فى قرارة نفسه وفى واقع حياته، ثم لا يجد قلقا ولا يعانى عقدا .

فإذا ما تجاوز ذلك وتعداه : ﴿ ... **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا** ... (٢٢٩) ﴾ [البقرة] دخل فى خضم من المهالك والمتاعب، لا يقومن عثرة حتى يقع فى أخرى، ولا ينهض من كبوة حتى يتردى فى وهدة، وتأخذ بخناقه سلسلة الضنك والهموم . . .

ومن سطحية الرؤية ووهم النظر أن نظن الاستغراق فى الترف واللذة وتجاوز حدود الله سعادة لا شقاء . . .

ذلك أن النكد النفسى، ومن ثم الخلل الاجتماعى قائمان شاهدان يتفاوتان بين مجتمع وآخر بحسب ما فى كليهما من جنوح كلى أو جزئى ومن سطحية الرؤية وخداع إبليس أيضا أن نبتسر الحياة الإنسانية ونقتصرها على الحياة الدنيا، ونكرس الموت مفهوم نهاية ! ! ! .

وإنى لتعرونى فى فترات وحدة وتأمل - أحيانا - سحابة تغشى على جوارحى ونفسى مادية الحياة، فلا أراها إلا وهما أو نوعا من الحلم، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ **وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون** ﴾ [العنكبوت].

فالمقصود بالحل والحرمة عملية تنظيمية توفق بين ما ركب فى الإنسان من رغبات وما هيئ له من أسباب ،و من ثم يمضى على صراط سوى فى دروب الحياة.

ووفق قواعد الحل والحرمة فى موضوع الحب (المألوف المعهود) تنتهض معالم البناء الراسخ الشامخ، لا هوى متبع . . . ولا نزوة شهوة . . . ولا قضاء غريزة . . . بل زوجين متحابين فى الله، متعاونين حسب شرعه ودستوره، عاملين لبناء أسرة مسلمة .

# الفصل الرابع

## ما قيل فى الحب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الروم].

وقال رسول الله ﷺ :

**( حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء . . . وجعلت قرة عينى فى الصلاة ).**

وسئل رسولنا العظيم ﷺ عن المرأة الصالحة فقال:

**(هى التى إن نظر إليها سرته وإن غاب عنها حفظته فى ماله وعرضها ).**

ما أردت بالعنوان أن أستعرض أقوال المحبين والعاشقين، قديمهم وحديثهم، شرقيهم وغربيهم، وما وصفوا به شعرا ونثرا، أحوالهم وحوادثهم، ثم أراءهم فيه، ولا قصدت إلى إيراد تحليلات الفلاسفة والحكماء والدارسين ثم عرضها ومناقشتها، أبدا . . .

فكلهم أو جلهم يتحدث فى هذا الموضوع من خلال علاقة الرجل بالمرأة عاطفيا أو جسديا، فهم يقوقعون هذه العاطفة النبيلة فى أضيق إطار وأقل حيز. . . وبعدها يهبطون بها إلى الدرك الغريزى ويمضون بها على صراط غير سوى من العلاقة التى لا تنتج إلا إثما، ولا تزهر إلا شوكا وقتادا سواء على الذات الفردية أو المجتمع البشرى . . .

ومن عجب أن يسمى هذا اللون من الشعر أو المقالة، بالأدب المكشوف، ولقد حفلت به كتب التراث! ! !، فهل يا ترى هناك أدب مغطى ! ! ؟ وإلى أى حد تتناسب معه كلمة (الأدب) . . . ! ؟

إن من حق التاريخ على الأمم أن تسجل حياتها على ما هى عليه فى مختلف أدوارها، صعودا أو هبوطا، سموا أو دنوا، رقيا أو إنحطاطا . . .

وأيضا . . .

فمن حق التاريخ على الأمم أن تفرز ذلك اللون عن (الأدب) . . . وتحق الحق فتعطى هذا اللون حجمه، وتسميه بما هو أهله . . . فالأدب منشئ أخلاقى وإجتماعى، وهى على سبيل الكلمة البناءة إلى عقول ونفوس الأفراد، تصور وتوجه، تدرس وتبحث ثم تستخلص الحكمة . . . مشعلا يبدد الظلام وينير الطريق ويهدى إلى الخير.

ونعود إلى : (ما قيل فى الحب . . . )

لقد أردت بالعنوان قول الله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩)﴾ [النازعات].

والطغيـان هو مجاوزة الحـد . . . ولقد بينه المولى عز وجـل هنا بأنه إيثار الحياة الدنيا . . . والعـبارة على وجازتها ذات امتداد هائل يشـمل كل حياة الفرد الدنيوية، ويغطى مـساحة عـمره . . . وإيثار الحيـاة الدنيا هو تفضـيلها . . . ولكن على ماذا ؟

على الجنةو نعيمهـا . . ! ؟ وفى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ! ! ولماذا ؟

لأنه هوى بقلبـه ونفسه الأمـارة بالسوء إلى حـضيض الشهـوة المادية واللذة الحسية، فاتبع هواه فتردى . . . !

وهذه حقيقة الحقائق

ويقابل هذا (الإيثار) و( الهوى) . . . صورة وضـاءة مشرقة . . . صورة تسمو بالحب وترتفع به، وتحلق معه فى آفاق العلياء وآماد الجوزاء ،إلى مقام الرب - سبحـانه - وتضغط بعقابيلها وتعـالها على هوى النفس، شامخـة برأسها إلى العلاء، ساعية حثيثا إلى جنة المأوى . . . عند سدرة المنتهى، صورة هى : الحب كله لله وحده . . .

وإذا بدنيا المؤمن وآخرته وحدة لا تتجزأ وعروتها وثقى لا انفصام لها .




ولقد نأيـت بكلمة (الغيـبوبة) عـما اصطلح عليـه القدامى، إذ أسـموها : (سكرة العشاق) لا حبا بالمخالفة أو الاستعلاء - معاذ الله - ولكن رأفة بالمعنى من أن ينحدر ويتلوث . . . أو يلتبس المفهوم بالمفهوم . . .

فإن هناك نوعا من المحبين عفوا من المحارم، وعايشوا الغيبوبة فيمن يعشقون ووصلوا فى غيبـوبتهم إلى درجة الجنون، وهو الفقـدان التام للعقل . . . وأولى بهم ألا يكونوا سكارى . . . بالمعنى الهابط . . .

وهناك نوع آخـر من المحبين . . .، وقف حـيالـته على حب الله تعـالى فغاب عن دنيا الناس . . .

يروى أن (عـروة بن الزبير) - رضـى الله عنهمـا - أصـابت رجله الأكلة، فقـالت له الأطباء : لا بد من نشـرها حتى لا يسرى المرض إلـى كل الجسم ،ثم قالوا نعطيك مرقـدا (أى بنجا) كى تتحمل الألم، فـرفض وطلب إليهم أن يبدءوا مهـمتـهم، ثم تشـاغل عنهم بذكر الله تعـالى . . فمـا ندت عنه صـرخة ولا تأوه. . . والعرق يتصبب من وجهه ويتفصد من جبينه كأنه الجمان . . .

و(رابعة العـدوية) - رحمهـا الله وغفر لهـا - كانت أية من أيات الغيـبوبة أيضا، حبا لله، فهى القائلة :

**أحبـك حبـين حـب الهوى وحبـا لأنك أهـل لـذاكا**

**وأما الذى هو أنت أهل له فشغلى بذكرك عمن سواكا**

فكانت لهـا دنياها الخاصـة، تشغل بالتـأمل، والذكر والتسـبيح، والعـبادة والدعـاء عن دنيا الناس، وتفـردمحـبوبهـا بالحب ،ولا تتبلغ إلا مـا يعينهـا على الطاعة، صوامة قوامة . . . حـتى قضت شهيدة العشق الإلهى ،و هذه - بحق - هى الغيبوبة .

أما أولئك الذين عـاشوا عاشقين، لا هم لهم سوى لـذة قضاء الوطر . . ، واستفراغ الشهوة، فمن التجنى على الحب أن يكونوا من جنده وأتباعه؛ لأن هؤلاء - بالفـعل - لم يكونوا إلا عـاشقين لذواتـهم، عابدين لشـهـواتهم ،و لم يكون (محـبوبهم) سوى أداة أو وسـيلة، ويزدادون إغراقا لاسـتكمال ذروة اللذة والمتـعة بشرب الخمـر . . . هؤلاء سكارى من قبل أن يشربوا؛ لأنهم انسـاقوا فى موكب إبليس وغرتهم أمانيه وأخاديعه، فطاشت عقولهم . . . فغابوا عن الوعى .

فسرت اللذة بإنهـا بلوغ الغاية وإدراك الهدف، ويقابلهـا الألم وهو القصور عن الأمل المنشود، فيرتد على النفس حسرة وحرقة، وتبدو آثاره على الجسد ذبولا ونحولا .

وقد يكون للذة تفسيرات وتعريفات أخرى بحسب المفاهيم والمقاييس، وعمق الدراسـات والتـحليـلات، ولكنهـا فى النهـاية أمـر وجـدانى يصـعب على كل التعريفات أن تحده أو تحـيط به، لأنها ترتبط بالدوافع والأحكام، فلعلى - مثلا - أتلذذ بأمر أو شئ يضجر غيرى، ولعلى أعزف عن أمر يؤنس غيرى ويلذه .

وللذة ألفاظ مـرادفة، كثيـرا ما تستعـمل فى التعبيـر عنها، منها : البـهجة والسرور وقرة العين وطيب النفس والنعيم .

وهى مطلوب كل كـائن حى، وتستلزم وجـوده وتكون صنو الإرادة عنده، لا تفترق عنهـا أبدا، وتتعلق بمحبوب معين . . . فـإذا تحصل وفق الإرادة شعت السعـادة والنعمة والفـرحة ومشـتقات اللذة فى النفـس والحس، وتكون قوة اللذة ودرجاتها بمقدرا درجة المحـبوب وقوته، وبمقدار الجهد الذى بذل فى سبـيل تحقيقه وإدراكه .

أى اللذابت أعظم ؟

سؤال يجب أن يطرح، حتى لا يضيع الجهد فى مـتعة زائلة، ثم يعقبه الندم والسدم[1] ، والحسرة والألم .

غن الإنسان يأكل، لأن الجـوع والمسغبة تؤلمانه وتمضانـه ،وينام، لأن السهر يضنيه والأرق يؤذيه .

أو يقرأ؛ لأن المعرفة كسب يسعده والجهل داء يزهقه ويحطمه أو يشاهد على شاشة التلفاز برنامجا يسليه ويفيده، لأن الفراغ يقلقه ويتعبه .

(١) السدم : الهم.

ولكنهـا كلها لذات آنيـة موقـوتة، لها فتـرتها التى تـلى التحـصيل وإدراك المحبوب ثم تنقضى .

وكلما كانت اللذة أكبر وأطول، كانت مرغوبة أكثر ولو أعطيت كل الجهد، وصرف فى سبيلهـا كل العمر وأنفق من أجل تحصيلها الغالى والثـمين - خصوصا إذا ما كانت لذة دائـمة - لا تقطع فيها ولا تـسلسل، ولا ترتبط بالدقائق أو مطلق الزمن .

إذا . . . .

ما رأيك فى الـدار الأخرة والنعيم المقـيم ؟ ؟ ألا تستـأهل أن يكون مطلوبة مرغوبة ؟

قال تعالى : ﴿ وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يوسف] .

وقال سبحانه : ﴿ **للذين أحسنوا فى هذه الدنى حسنة، ولدار الأخرة خير ولنعم دار المتقين** ﴾ .

وقال الحق ﴿ **وإن الدار الأخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ ... وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزخرف] .

وقال جل شأنه : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ... ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة] .

وقال رسول الله ﷺ : (**يقول الله تعـالى : أعددت لعبادى الصـالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** ).

وما من شك أن لذائذ الدنيا أو مـتعها من النوع البسـيط غير المركب ،و من النوع المحدود زمنا ومسـعى، وأولى بها أن يصوغها الإنسـان مع رغباته فى سلك الهداية لا الغوايـة، فتكون فى نفس الوقت وسيلة إلى الغاية الكبـرى ،إلى النعيم الذى لا يزول واللذة التى لا تحول، إلى رضـوان الله تعالى . . . (ورضوان من الله أكبر ).

قال بعض العلماء :

( فهذه هى اللذة التى ينبغى للإنسان العاقل أن يسعى فى تحصيلها، لا اللذة التى تعقبـه غاية الألم وتفوت عليه أعظم اللذات، ولهـذا يثاب المؤمن على كل ما ينلذ به من المباحات إذا قـصد به الإعانة والتوصل إلى لذة الأخرة ونعيمـها، فغلا تسبة بين لذة صاحب الزوجة التى يحبها وعينه قد قرت بها، فإنه إذا باشرها والتذ

قلبه وبدنه ونفسه بوصالها أثيب على تلك اللذة فى مقابلة عقوبة اللذة المحرمة على لذته . . .

كما قال النبى ﷺ: **(وفى بضع أحدكم أجر، فقالوا : يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى الحرام أكان عليه وزر ؟ قالوا : نعم، قال : فكذلك إذا وضعها فى الحلال يكون له أجر ).**

وهذه اللذة - عزيزى القارئ - تتضاعف وتتزايد بحسب ما عند المرء من شوق الإقبال على الله تعالى، وإخلاص العبادة والطاعة والعمل له - سبحانه - والرغبة فى الأخرة . . . فإن رغبته وشهوته وتطلعه، الموزعة هنا وهناك، قد اجتمعت وائتلفت واتسقت فى صورة واحدة . . .

أما الخوف والهم والغم الذى فى اللذة المحرمة فمعدوم فى لذته هذه، فإذا اتفق له مع هذا كله صورة جميلة لزوجة أنيسة رفيقة، رزق حبها ورزقت حبه وانصرفت دواعى شهوته الحسية إليها، وقصرت بصره عن النظر على سواها، ونفسه إلى التطلع إلى غيرها، فلا تناسب بين لذته هذه ولذة صاحب الصورة المحرمة .

قال رسول الله ﷺ: **( ثلاثة ينال بها خير الدنيا والأخر : قلب شاكر ولسان ذاكر، وزوجة حسناء إن نظر إليها سرته وإن غاب عنها حفظته فى نفسه وماله ).**

قال الشاعر :

**وددت بأن الحب يجمع كله**
**فيقذف فى قلبى وينغلق صدرى**
**فلا ينقضى ما فى فؤادى من الهوى**
**ومن فرحى بالحب أو ينقضى العمر**

وقال أخر :

**الحب أوله شئ يهيم به**
**قلب المحب فيلقى الموت كاللعب**
**يكون مبدؤه من نظرة عرضت**
**و مزحة أشعلت فى القلب كاللهب**
**كالنار مبدؤها من قدحة فإذا**
**تضرمت أحرقت مستجمع الحطب**

# الفصل الخامس

## بين المدح والذم

من البديهى جدا أن يتعلق قـولنا : (بين المدح والذم) بالحب المألوف المعهود لا الحب بمعناه الأعم الأوسع، ولا بحـقيقتـه الكبرى التى تخلص فى التـوجه إلى المحبوب الأعظم والأكبر، إلى الله تعالى . . .

فالحب كـعاطفة إنسانـية أو حقيـقة وجدانيـة، أو حاجة نفسـية . . . فى طرفيـه: المحب والمحبـوب . . . يحمده البـعض ويذمه الأخـرون، يمدحه أناس ويرون فيـه صفو الحـياة ولذة العيش، ولحـاه أخرون وهاجموه واعـتبروه منقـصة وعيبا . . . ذلا وإهدارا لكرامة الإنسان.

قال المادحون :

قد حـبب الله تعالى إلى رسله وأنبيـائه نساءهم وسـراريهم، فكان آدم عليه السلام شـديد الحب لحواء ،و قد أخـبره الله تعـالى أنه خلق زوجته مـنه ليسكن إليها، وأيـضا فإن حبه (عليـه السلام) لها قد حـمله على موافقتـها فى الأكل من الشجرة . . .

وداود (عليـه السـلام) قـد جـمع من الـنسـاء مـائة امـرأة، وكـذلك ابنه (سليمان) . . .

ولقد عـاب اليهود قـديما و( أمثالهم حـديثا) على سيـدنا رسول الله (ﷺ) محبته للنساء وكثرة تزوجه، فأنزل الله الرد على افترائهم قوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) ﴾ [النساء].

وقد كان عند (إبراهيم الخليل) عليه السلام أجمل النساء (سارة)ثم تسرى بـ( هاجر) وكانت المحبة لها .



وروى أن بعض أزواج النبى ﷺ غرن من (عائشة) فسألن (فاطمة) رضى الله عنها، تقول " عائشة "( فدخلت وهو مضطجع معى فى مرطى، فقالت يا رسول الله، إن أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة . . . وأنا ساكتة، فقال لها رسول الله ﷺ : ألست تحبين ما أحب ؟ قالت : بلى، قال : فأحبى هذه ).

وثبت عنه (ﷺ) أنه كان يقول : **(اللهم هذا قسمى فيما أملك، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك )**.

ويريد (ﷺ) أن يطبق العدل فى النفقة المادية بين نسائه والقسم بينهن ،وأما التسوية فى ميل القلب فلا يملكها ولا سلطان له عليها . . .

لماذا ؟

لأنه (عليه الصلاة والسلام) هو القائل : (القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء )

ويقول وهو فى سجوده **(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على الإيمان بك)**.

واستشهدوا أيضا بما قاله بعض كبار التابعين، فقالوا :

كان عروة بن أذينة شيخ (مالك) من العلماء والثقات الصالحين، وقفت عليه امرأة فقالت : أنت الذى يقال له : الرجل الصالح ! ! ! وأنت تقول :

**إذا وجدت لهيب الحب فى كبدى**

**عمدت نحو سقاء القوم أبترد**

**هذا بردت ببرد الماء ظاهره**

**فمن لنار على الأحشاء تتقد ؟**

وكان (محمد بن سيرين) ينشد :

إذا خدرت رجلى تذكرت من لها

**فناديت (لبنى) باسمها ودعوت**

**دعوت التى لو أن نفسى تطيعنى**

**لألقيت نفسى نحوها وقضيت**

وقال (ابن مسعود) - رضى الله عنه - : (بينما نحن عند رسول الله ﷺ فى قريب من ثمانين رجلا ليس فيهم إلا قرشى، والله ما رأيت صفحة وجوه قط أحسن من وجوههم يومئذ، قال فذكروا النساء، فتحدثوا فيهن وتحدثت معهم حتى أحببت أن نسكت).

وقال شاعر الحماسة :

**تشكى المحبون الصبابة ليتنى**

**تحملت ما يلقون من بينهم وحدى**

**فكانت لقلبى لذة الحب كلها**

**فلم يلقها قبلى محب ولا بعدى**

وقال بعضهم :

(والعشق يصفى العقل ويذهب الهم ويبعث على حسن اللباس وطيب المطعم، ومكارم الأخلاق، ويعلى الهمة ،و يحمل على طيب الرائحة وكرم العشرة وحفظ الأدب والمروءة، وهو بلاء الصالحين، ومحبة العابدين، وهو ميزان العقول، وجلاء الأذهان، وهو خلق الكرام )

وقال بعضهم :

(العشق للأرواح بمنزلة الغذاء للأبدان، إن تركته ضرك، وإن أكثرت منه قتلك).

وقال (ابن عبد البر) فى كتابه : (بهجة المجالس) (وجد فى صحيفة لبعض أهل الهند : العشق ارتياح جعل فى الروح، وهو معنى تنتجه النجوم فى مطارح شعاعها، ويتولد فى الطباع بوصلة أشكالها، وتقبله الروح بلطيف جوهرها، وهو يعد جلاء القلوب وصيقل الأذهان ما لم يفرط، فإذا أفرط صار سقما قاتلا، ومرضا منهكا، لا تنفذ فيه الآراء، ولا تنجح فيه الحيل، والعلاج منه زيادة فيه )

ووصفه بعضهم فقال :



( يشجع الجبان، ويسخى البخيل، ويصفى ذهن البليد ،و يفصح لسان العيى، ويبعث حزم العاجز، ويذل له عز الملوك، وتصدع له صولة الشجاع، وهو داعية الأدب، وأول باب تفتق فيه الأذهان والفطن، وتستخرج به دقائق المكائد والحيل، وإليه تستروح الهمج، وتسكن نوافر الأخلاق والشيم، يمتع جليسه، ويؤنس أليفه، وله سرور يجول فى النفوس، وفرح يسكن فى القلوب ).

وقال (الحسين بن مطير) :

**إن الغـواني جنـة ريحـانـها نضـر الحياة فـأين عنـها تعزف**

**لـولا مـلاحتهن مـا كـانت لنا دنـيا نـلذ بـها ولا نـتـصـرف**

وقال أخر :

**وما سرنى أنى خلى من الهـوى ولو أنى لى ما بين شرق ومغرب**

وقال أخر :

**إذا أنت لم تذق فى هذه الدار صبوة فموتـك فيـها والحيـاة سـواء**

ثم قال الذامون :

إن العشق من الأمور التى لا طاقة للإنسان بها ،و لا قدرة له عليها، تمتلكه ولا يمتلكها، ثم يعجز عن الإمساك بناصيتها، فتغلبه وتقهره .و فسروا بذلك قول الله تعالى : ﴿ ... **وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ** ...  ﴾ [البقرة] واستندوا إلى قول النبى ﷺ: (لا ينبغى للمرء أن يذل نفسه ) بأن الحب والعشق مدعاة للخنوع والخضوع والذل، قال الإمام (أحمد بن حنبل) - رضى الله عنه - مفسرا حديث النبى ﷺ :( هذا مطابق لحال العاشق، فإنه أذل الناس لمعشوقه، ولما يحصل به رضاه )، والحب مبناه على الذل والخضوع للمحبوب كما قيل :

**أخضع وذل لمن تحب فليس فى شرع الهوى أنف يشال ويقعد**

وقال أخر :

**مساكين أهل العشق حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر**

وقال أيضا :

**قالوا عهدناك ذا عــز فقـلت لهم**

**لا يعجب الناس من ذل المحبينا**

**لا تنكــروا ذلة العشــاق إنهـــم**

**مستعبدون برق الحب راضونا**

ولم يقـفوا فى ذم الحب والعـشق عن حد مـا يورثه من ذل وخضـوع، بل قالوا: إذا اقتحم الإنسان خضم بحر العشق، ولعبت به أمواجه وتقاذفته، فهو إلى الهلاك أدنى منه إلى السلامة .

قال الشاعر :

**الحــب أول مـــا يكـــون لجـاجة　　　تأتــى بــه وتســوقه الأقـدار**

**حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهـوى　　　جــاءت أمــور لا تطـاق كبـار**

**من ذا يطيق كما تطيق من الهوى　　　غلب العزاء وباحت الأســرار**

وردوا على المادحين فقالوا :

وكيف يمدح أمر يمنع القرار، ويسلب المنام، ويوله العقل، ويحدث الجنون، بل هو نفسه الجنون .

**قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهـم**

**العشـــق أعظـــم مما بالمجانيـــن**

**العشق لا يستفيق الدهر صاحبـه**

**وإنما يصرع المجنون فى الحين**

وقالوا أيضا :

وكم من عاشق دنف أتلف فى معشوقه ما له وعرضه ونفسه، وضيع مصالح دينه ودنياه.

وأنشد (أبو الفضل الربعى):

**قــــد أمطــرت عينى دما فدمـاؤها**

**بعـــد الدمـوع من الجفون هوامل**

**كيف العزاء ولا يزال من الضنى**

**فى الجسم منى والجوانــــح نازل**

**لهفى على زمن مضى تجـــتازنى**

**فيه صروف الدهر وهى عـــواقل**

وقال أخر :

**العشق مشغلة عن كل صالحة**

**وسكرة العشق تنفى لذة الوسن**

ولهؤلاء وهؤلاء نقول:

ليس الحب محمودا مطلقا، ولا مذموما مـطلقا، وإنما يحمد ويذم باعتبار ما يتعلق به ويرنو إليه، فالإرادة تابعة طرادها، وكذلك الحب تابع للمحبوب .

فمتى كان المحبوب مما يحب لذاته، لم تذم المبالغة والمتابعة، ولذا كان أعظم ما يسمو إليه الإنسان ويرقى به مدارج صدق العاطفة فى الحب أن يصرف كل قوى محبـته لله وحده، ويصـرف قلبه وروحه وجوارحـه لربه، يوحد محبـوبه ويوحد حبه!!!

واعلم - عـزيزى القارئ - أننا بالرغـم من قصـرنا المدح والذم على الحب المألوف المعهود، فـيما قيل عنه، فإن من سـذاجة التفكير أن نخلص بالنتـيجة إلى قصر الحكم بين المادحين والذامين، بل لا بد من إقرار الحقـيقة الكبرى التى تهيمن بعدالتها واتســاع قاعدتها وشمولها على الطرفين، وتشدهمـا كليهما إلى الأعلى، وتعيد إلى الفطرة أصالتها ونصاعتها، دون التباس بأية نزعة شيطانية، ولنعدل كفتى ميزانها بقول الخالق البارئ سبحانه (يحبهم ويحبونه) - وصدق الله العظيم.

من القواعد الحياتية المسلم بها فى دنيا الناس أن لكل داء دواء، ولكل مرض علاجا، سيان ما كان فى البدن أو فى النفس، فى الجسم أو فى أعماق الوجدان .

وحيث أن الحب عاطفة أصيلة فى الكيان النفسى للإنسان، بل هى مدار كل الرغبات والانفعالات والصلات، ومرتكز التجاذب أو الابتعاد، تتأثر بالموجودات والمتطلبات تبعا لصفاء النفس وإشراقها سموا، أو عتمتها وإخلادها إلى الأدنى هبوطا . . .

فهى بين استقامة وانحراف . . .

والاستقامة علامة صحة وسلامة، والانحراف مؤشر مرض وابتلاء . . . وكلما كان الانحراف أشد كان الداء أظهر وأكثر فتكا .

وفى القاموس الطبى : إن صح وصدق التشخيص نصف العلاج، فإذا وضع الطبيب يده على المرض سهل عليه علاج المريض، وهانت عليه مداوته .

والله تعالى الذى خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، والذى ركب فيه طاقاته وقدراته، وهو أعلم به منه . . .، قد يسر للإنسان سببيل الوصول إلى تمام العلاج من داء الهوى، صراطا ميسرا وجرعة كافية، سواء أكان ذلك للحب المألوف المعهود، أم للحب بمعناه الأوسع الأعم فمن تنكب الطريق . . . أو ازداد من الجرعات فقد أخطأ طريق المداواة، وتفاقمت العلة عنده، وأنذرت بالخطر الشديد حاضرا ومستقبلا، فى دنياه وآخرته .

ومن نافلة القول أن نكرر الحديث النبوى الشريف، من أنه (عليه الصلاة والسلام) : (لم ير للمتحابين مثل النكاح )، إذ أن إلحاح الغريزة وسعرها أشبه بالسياط تلسع البدن وتستحثه، ألا ترى معنا كيف أن الحوذى يقرع بهيمته تارة بالعصى، وطورا يلاحقها بالسياط لتسرع فى السير، فتركض وتجرى لاهثة تعبة،

وقد يكون الحمل ثقيلا فتسقط من الإعياء، وقد تقضى ! ! ! ومن العدل والحق أن يخفف فى الحمل، وأن يتئد فى السير، فيضمن الوصول وعدم الخسارة .

ويروى عن رسول الله (ﷺ) قوله : **(إن المرأة تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته، فليأت أهله فإن ذلك يرد ما فى نفسه )**.

هذا بالنسبة للمتزوج المحب . . . أما العازب فماذا عن أمره ؟

ففى هذا الصدد هناك حديث نبوى شريف بلغ به حد الاستفاضة والشهرة، يردد كثيرا ولا يعمل به إلا قليلا، قال عليه الصلاة والسلام : **(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر و أحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء )**.

والحديث من الوضوح إلى درجة لا تتطلب جهدا عقليا لإدراك معناه ومغزاه.

علما بأن الفرديه مكروهة وممقوتة، شرعا وعقلا فهى لا تنطوى على خير أو استقامة، ولا تؤدى إلى أى واحد منهما .

و**(لا رهبانية فى الإسلام )**

و**(. . . أتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى)** ! ! !



# الفصل السادس

## الجمال وتأثيره في القلوب والنفوس

قال رسول الله ﷺ:

**( لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر، قالوا : يا رسول الله، الرجل يحب أن تكون نعله حسنة وثوبه حسنا أفذلك من الكبر . . . ؟ فقال : لا ، إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس ).**

### الجمال وتأثيره فى القلوب والنفوس

ولكن أى جمال ذلك الذى يؤثر فى القلوب والنفوس ويستجيش فيها كوامن الحب وعاطفة الهوى ؟ هل هو جمال الوجه وحسنه وبديع صنعه وتكوينه ؟ وجاذبية العيون وسحرها ؟ وروعة التنسيق فى القوام ؟

أم رقة الروح وعذوبتها ؟ ولطف ا لحديث وجمال العبارة ؟ ورنة الصوت ونغمه ؟ وغنة الحرف وموسيقاه ؟

أم طيب الخلق ولين الجانب ؟ وحسن العشرة وتناسق الطباع ؟ والؤضى والتواضع وانفتاح الروح وانشراح القلب ؟

تساؤلات كثيرة لو إنساق الإنسان وراءها من غير تركيز وتدبر تاه فى خضمها وغرق فى لجتها، وطوته فى أعماقها، ولم يبلغ شاطئ الأمن والأمان، أما لو عرف أن الجمال لا يخرج عن دائرتين اثنين لأدرك السبيل وبلغ الهدف دونما تلجلج أو اضطراب أو ضياع .

فالجمال إما ظاهرى أو باطنى . . . ، ظاهرى يبدو طافحا طافيا متألقا، لا يصعب إدراكه، مع اختلاف مقاييسه، وباطنى كامن فى الحنايا والثنايا، كاللؤلؤ المكنون فى صدفاته، لا يمكن إدراكه وتحسسه إلا بالغوص والجهد . . .

ولكن أيهما يأتلف مع القلب ويؤثر فى النفس ؟

لا شك أن العين هى رائدة القلب ورسوله، تحوم كالطير على الأغصان والزهور، ثم يحط حين يرتاح ويسعد ويتمتع . . . ، مزقزقا طربا، ومغنيا لعبا .

ثم تبدأ عملية الاحتكاك مع الزهرة أو الغصن، لاستجلاب طيب المقام أو الرحيل . . . ، هنا تبدو ردة فعل القلب بالنسبة للجمال الباطن، وهو الجمال الحقيقى . . . ، فإن تعارفت القلوب والأرواح إئتلفت وإن تناكرت اختلفت، وإن لنا فى (يوسف) – عليه السلام – وامرأة العزيز لآية . . .

فقد كان الجمال الظاهر عنصر جذب وشد، وطاقة حيوانية تستعر وتلتهب. . .

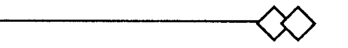
إذ أوتى – عليه السلام – شطر الحسن، فقالت امرأة العزيز مذعنة معترفة مأخوذة : ﴿ ... مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) ﴾ [يوسف]، ثم سيطرت عليها نفسها الأمارة بالسوء، وسعت نظرتها بين وجه (يوسف) – عليه السلام – وقلبها، فما هدأت واستكانت، بل (وغلقت الأبواب وقالت هيت لك) . . . (ولقد همت به) . . .

فماذا كان من شأنه ؟

إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يحق الحق . . . ، بكلماته وأنبيائه، فيعطى الصورة البشرية الإنسانية مداهل، ثم يرتفع به إلى عليين، تقويما وضبطا، وتصحيحا للسلوك، وأمنا من الانحراف، وبيانا للصراط المستقيم الذى يحفظ الإنسان وبشريته من الهبوط والوقوع فى شراك إبليس .

لم يتأثر (يوسف) – عليه السلام – بالجمال الظاهر، وأساليب الغواية، ولئن تأثر فهو فى ريعان الشباب وفورة الجنس، لكنه استعصم . . . كره وأحب. .

كره " الجمال الظاهر ومصيدة الشيطان وفتنة إبليس، فغض البصر عن المحارم . . . وأحب الله، وإرتفع بحبه، وأصالة العاطفة عنده فوق الدنيا



والدنايا، ودعا الله ربه ﴿ ...وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) ﴾ [يوسف] ، فحفظه الله ووقاه، وعرفنا العلى الأعلى من خلال هذه الصور قيمة جمال الباطن، نصاعة ونظافة وارتقاء .

وأخيرا، ماذا لو اجتمع جمال الظاهر إلى جمال الباطن ؟

تلك - لعمرى - غاية الغايات، وقمة الساعادات، وذروة المنى .

ونعود إلى الحديث الشريف، فقد سئل رسول الله (ﷺ) عن المرأة الصالحة فقال : (**هى التى إن نظر إليها سرته وإن غاب عنها حفظته فى ماله وعرضها** ).

ويقول بعض المفسرين : إن معنى قول الله تعالى : (**ربنا أتنا فى الدنيا حسنة** . . .) المرأة الصالحة، وهى التى عناها الرسول الأعظم ﷺ فى حديثه .

( وفى الأخرة حسنة . . .) وهى النظر إلى وجه الله تعالى، استنتاجا من قوله تعالى أيضا: (**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** )، قالوا فى الزيادة : التمتع بنور وجه الله سبحانه .

قال أحد الشعراء فى وصف محبوبته، وقد احتوت الجمالين : الظاهر والباطن :

**مغيرية كالبدر سنة وجهها ... مطهرة الأثواب والعرض وافر**

**لها حسب ذاك وعرض مهذب ... وعن كل مكروه من الأمر زاجر**

**من الخفرات البيض لم تلق ريبة ... ولم يستملها عن تقى الله شاعر**

يقول الله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ...﴿٤﴾ ﴾ [الأحزاب].

وقال جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

وقال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [الأعراف].

وقال الشاعر :

كذب المدعى هوى اثنين حتما ... مثل ما فى الأصول أكذب أمانى

ليس فى القلب موضع لحبين ... ولا أحدث الأمور اثنان

فكما العقل واحد ليس يدرى ... خالقا غير واحد رحمن

فكذا القلب واحد ليس يهوى ... غير فرد مباعد أو مدان

هو فى شرعة المودة ذو شك ... بعيد من صحة الإيمان

وكذا الدين واحد مستقيم ... وكفور من عنده دينان

ليس فى القلب إلا وجهة واحدة، إذا توجه إليها لم يمكنه التوجه إلى غيرها، وكما أنه لا يجتمع فيه إرادتان معا، فكذلك لا يكون فيه حبان . . . والمحبوب لذاته لا يمكن إن يكون إلا واحدا، ويستحيل أن يوجد فى القلب محبوبان لذاتهما، كما يستحيل أن يكون فى الخارج ذاتان قائمتان بنفسيهما، كل ذات منهما مستغنية عن الأخرى من جميع الوجوه، فليس الذى يحب لذاته إلا الإله الحق الغنى بذاته عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير بذاته إليه.

بيان ذلك . . .

يقولون فلان ذو قلب كبير، ويعنـون أنه يتسع من مدى الحب إلى احتواء ما لا يطيقه غـيره، أو يقولون رحب الصدر، ويريدون أن يهضم ويخـتزن فى جنباته وأنحائه مالا يقدر عليه إنسان آخر .

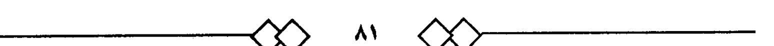
وهم بهذه التـعبيـرات يقصدون إلـى توزيع عاطفة المحـبة درجات تتـفاوت عنده، ما بين قريب وأخ وصديق وحبيب، ولا يمل فى الحب .

وخير ما يـعطى به المثل ويقتدى به رسول الله ﷺ، فقد كـان عليه الصلاة والسلام يحب زوجاته، ويحب صحابتـه، ويحب المؤمنين جميعا، وهو أولى بهم من أنفسهم . . . ولكن لا يحبهم لذواتهم وأشخاصهم، بل يحبهم فى الله ولله . . . وهذا عين الإفراد وعين الصدق والحق .

ومحبة الله تعـالى : محبة له وفيه، ومحبـة معه . . .، كلها تأتلف تحت شعاره ولوائه، وهذا هو التوحيد، أما غير ذلك فهو الشرك .

يقول الله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ... (١٦٥) ﴾ [البقرة] .

وبعد فبالله عليك أينا أصدق حبا وأهدى سبيلا ؟ الذين يقولون (بمحبة الله) ويفردون الذات الإلهية بالحب، أم الذين يتخذون معه - سبحانه - أندادا يحبونهم كحب الله ؟ ! !



الغيرة وإفراد المحـبوب بالحب عاطفتان متلازمتـان، لا انفكاك لهما، وكلما كان المحب صادقا كانت غيرته أشد وأقوى.

والغيرة منبعهـا الأنفة والحمية من المحب على محبوبه أن يشـاركه فيه أحد، أو يؤذيه بكلمة أو نظرة أو حركة .

كمـا أن الغيرة قـد تدفع المحب على التضحـية بكل شئ فى سبـيل إرضاء المحبـوب، إقداما وإندفاعـا حيث يجب الإقدام والاندفـاع، أو نكوصا وإحجـاما حيث يفترض ذلك، وهذا نوع من الالتزام يرضى المحبوب ولو على حساب الذات ورغباتها ومطامعها وطموحاتها .

والغيرة حـالة نفسية تنعكس على الواقع أحـيانا غضبـا . . . وهذا ما كان يحدث من رسول الله ﷺ، فلم يكن ليغـضب - غيرة - إلا أن تنهك محارم الله وتنتقص حدوده .

وفى الصـحيح عن رسـول الله ﷺ من حـديث (أبو هريرة) رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(إن الله يغار، والمؤمن يغار، وغيرة الله ان يأتى المؤمن ما حرم الله ).**

وروى أيضا عنه ﷺ قوله : **(المؤمن يغار، والله أشد غيرة)** .

والغيـرة بالنسبـة إلى الإنسان على مـحبوبه الـدنيوى نوعان : غـيرة طيـبة محمودة، وغيرة خبيثة مذمومة، قال رسول الله ﷺ :

**( الغيرة غيرتان، فغيرة يحبها الله وأخرى يكرهها الله، قلنا : يا رسول الله ما الغيرة التى يحب الله ؟ قال : أن تؤتى معاصيه أو تنتـهك محارمه، قلنا : فما الغيرة التى يكره الله ؟ قال : غيرة أحدكم فى غيره كنهه ).**



ومعنى : فى غير كنهه، أى أن تكون الغيرة ناشئة عن رغبة أنانية أو حاجة ذاتية ليس فيها لله شئ ،أو يكون مبعثها سوء الظن والريبة .

قال " أبو تمام الطائى" - الشاعر - :

**بنفسى من أغار عليه منى ... وأحسد أهله نظرى إليه**

**ولو أنى قدرت طمست عنى ... عيون الناس من حذرى عليه**

**حبيب بث فى جسمى هواه ... وأمسك مهجتى رهنا لديه**

**فروحى عنده والجسم خال ... بلا روح وقلبى فى يديه**

وقال " على بن نصر " :

**أفاتك أنت فاتكة بقلبى ... وحسن الوجه يفتك بالقلوب**

**أصونك عن جميع الناس يامن ... بليت بها فأضحت من نصيبى**

**وعن نفسى أصونك ليت نفسى ... تقيك من الحوادث والخطوب**

**وما حق الحسان على إلا ... صيانتهن من دنس الذنوب**

### العفة تاج يكلل المحبين . . .

بالكلمة النظيـفة يتخيرونهـا، ونظرة الحياء يطلقونهـا، حتى اللمسة الرقـيقة المهذبة يتقونها، وأيضا . . .عارضة النفس يكتمونها ولا يبدونها .

يقـيدون عواطفـهم وجوارحـهم بسلاسـل الخشيـة من الله، والخشـوع فى محراب قداسـة الطهر، لا تستفزهم، العواصف، ولا تتقـاذفهم الرياح والتيارات، بل يستمسكون بحبل من الله ليس إلا .

قال الله تـعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ ﴾ [المؤمنون].

وقال عز وجل :﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ㉚ ﴾ [النور].

وقال فى مـدح " مريم ابنة عـمران " : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ... ⑫ ﴾ [التحريم].

وقال الحق : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ...㉝ ﴾ [النور].

وروى أن رسول الله ﷺ قـال : ما وصف لى أعرابى فأحـببت أن أراه إلا عنترة، لقوله :

**وأغض طرفى إن بدت لى جارتى — حتى يوارى جارتى مأواها**



وفى الصحيح فى حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : (**سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل، وشاب نشأ فى طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين ،و رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**) .

وحكاية " ذى الكفل " جديرة بالرواية :روى " عبد الله بن عمر " - رضى الله عنهما - عن رسول الله ﷺ أنه قال ( **كان "ذو الكفل" من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأتاها ستين دينارا على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة أرعدت وبكت، فقال ما يبكيك ؟ أكرهتك؟ قالت :لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط، قال : فتفعلين هذا ولم تفعليه قط ؟ قالت : حملتنى عليه الحاجة، فتركها ثم قال: اذهبى والدنانير لك، ثم قال : والله لا يعصى الله ذو الكفل أبدا، فمات من ليلته، فأصبح مكتوبا على بابه : غفر الله لذى الكفل** ).

قال الشاعر :

**ما أن دعانى الهوى لفاحشة … إلا نهانى الحياء الكرم**
**فلا إلى فاحشة مدى يدى … ولا مشت بى لريبة قدم**

وقال الحسين بن مطير :

**أحبك يا سلمى على غير ريبة … ولا بأس فى حب تعف سرائره**
**أحبك حبا لا أعنف بعده … محب ولكن إذا لم عاذره**
**وقدمات قلبى أول الحب مرة … ولومت أضحى الحب قدمات أخره**

وكان " سفيان الثورى " - رضى الله عنه - يتمثل بهذين البيتين :

**تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها … من الحرام ويبقى الوزر والعار**
**تبقى عواقب سوء فى مغبتها … لا خير فى لذة من بعدها النار**

قال الشاعر :

**لا خـــير فيمـــن لا يراقـــب ربه**

**عنـــد الهـــوى ويخـــافه إيمانا**

**حجب التقى سبل الهوى فأخو لتقى**

**يخشـــى إذا وافـــى المعـــاد هوانا**

# القسم الثاني




**الحب والجنس ... معادلة العصر!!**

وليت هذه المعادلة أخذت طريقها السوى الطبيعى، بمعنى : أن تكون علاقة مضبوطة ومطبوعة بقواعد العلاقة غير المحرمة عرفا وشرعا .

هذا فى الأغلب الأعم، أما القلة النادرة فلا يقاس عليها .

ولقد وصفت المجتمعات التى ما تزال تحرص على المنهجية السليمة لمعنى الحب وأهدافه بالمجتمعات الرجعية أو ا لمتأخرة، فإن ترفقوا فى التسمية أطلقوا عليها صفة : (المحافظة )

فكأن التنظيم والتقنين لأى جانب من جوانب الحياة الإجتماعية والعلاقات الإنسانية فى مصطلح التيار الفوضوى المعاصر وعصبته لا يعنى عندهم إلا الجهل، لأنه يضاد الحرية الشخصية، كما يضاد الإنجازات العلمية الحديثة (النظرية) فى الدراسات الإجتماعية، التى اضطلع بعبئها جهابذة الفكر مثل (دركايم) وغيره . . كما أنه - أى التنظيم والتقنين - فى عرف الدراسات النفسية يناقض القواعد والمستخلصات الثابتة ! ! ! التى توصل إليها فرويد ويكبل الفرد والمجتمع بقيود تعطله عن الحركة وتحجزه عن التقدم .

ولقد أضحت هذه الإنجازات العصرية (على حد تعبير أصحابها) هى الأصول التى تتحرك وفقها أكثر العلوم التثقيفية وأساليب الإعلام والإعلان، ووسائل الترفيه والتسلية فى أنحاء العالم، وهى المسيطرة شرقا وغربا .

وهذه . . . تصدر إلينا بنزارة ووفرة، بطلب أو من غير طلب، فتغرق بيوتنا وأسواقنا ومنتدياتنا بطوفان من ردة الجاهلية، لتزعزع دعائم العقيدة، وثوابت المفاهيم والمقاييس الأخلاقية والتربوية، وتهز الصرح الشامخ بأعاصير الفتنة والضلال .





ولنا أن نسأل :كم عدد الذين يقرؤن المقالة الهادفة إلى جانب قراءة القصة ؟ وأى نوع من القصص أنجح وأكثر رواجا ؟ وأى الأفلام والمسلسلات التى تستقطب العامـة ؟ وأيها أكثـر ترددا على ألسنة الناس الأناشيـد الوطنية والدينيـة أم أغانى الحب والهـيام فى هبـوطهـا وميـوعتـها ؟ وهـل من شك فى أن الشعـر الإباحى ودواوينه فى معـانيه العارية وكلماته النابيـة هو صاحب الأرقام الخيـالية فى إعادة الطبع ونسـبـة التوزيع، والـربح الحرام ! ! ! ؟ ؟ ؟ إن عـدوى الجنس الهـابط، المتسللة إلـى قدسيـة محراب الحب، قـد لوثته بلوثة الردة الجـاهلية . . .، بردة الجاهلية الرومانية، التى يعتبر قانونهـا المشهور المصدر الأساسى للتشريع فى العالم الغربى عامة، والتى كان مجتمعها - حتـى فى عصور المسيحية الأولى - مجتمعا بهيميا غريزيا، يحكمه الانحلال، وتسيطر عليه الإباحة .

إن عدوى الجنس الـهابط - هذه - شوهت مـعالم الحب العـفيف بنهـايته الطبيـعية الحتـمية عندنا . . . وحجـمته أيضـا فى الإطار الضيق لمعناه المألوف . ونريد نحن - بعون الله تعالى وتوفيقه - أن نساهم فى إطلاقه من القمقم وتنظيفه مما يتعـلق به من الدرن، وران عليه من الغـشاوات، ليـشع من جديد فى حـياتنا أسلوبا نظيفا راقيا، وفى قلوبنا إخلاصا وتوحيدا، واستمساكا بحبل الله .



إن العالم بأسره يعيش اليوم ثورة جنسية طاغية، تجاوزت الحدود والسدود والقيود، وحطمت كل الأعراف، وهدمت صرح الأخلاق، مما جعلها لدى بعض المفكرين والمسئولين قضية تطرح على أنها إحدى أبرز القضايا التى تهدد الكيان البشرى والمجتمع الإنسانى، وتنذر بأوخم العواقب وأسوأ النتائج، متجاوزة حتى خطر القنبلة الذرية ! ! !

ولقد ظهرت عدة أبحاث، مطولة وغير مطولة، وكذلك تصريحات وأراء، كلها تنصب على إيقاظ الغافلين، وكبح جماح المتهورين، وتنبيه السادرين اللاهين، ليتداركوا أنفسهم ومجتمعاتهم، والإنسانية قبل فوات الأوان .

فهذا مثلا الكاتب المفكر : (جورج بالوشى هو رفت) يقول فى كتابه : (الثورة الجنسية) :

( والآن . . . وبعد أن كادت أذهاننا تكف عن الخوف من الخطر الذرى، ووجود " ستروثيتوم ٩٠ " [١] فى عظامنا وعظام أطفالنا، لا يفتقر العالم إلى عناصر بشرية تقلق للأهمية المتزايدة التى يكسبها الجنس فى حياتنا اليومية، وتشعر بالخطر إذ ترى موجة العرى وغارات الجنس لا تنقطع، ينشغل هؤلاء الناس انشغالا جادا بالقوة الهائلة التى يمكن أن تصل إليها الحاجة الجنسية إذا لم يحدها الخوف من الجحيم، والأمراض السارية والحمل، وفى رأيهم أن أطناننا من القنابل الجنسية تنفجر كل يوم ،ويترتب عليها آثار تدعو إلى القلق، قد لا تجعل أطفالنا وحوشا أخلاقية فحسب ،بل قد تشوه مجتمعات بأسرها )

كما قال أخر [٢] :

(إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون فى نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذرية ).

(١) عنصر إشعاعى

(٢) (جيمس رستون) نقلا عن (النيويورك تايمز )



ولم يتوقف أمر النذير عند حدود علماء الاجتماع والدراسات النفسية، بل خاض الميدان علماء أخرون منهم مثلا المؤرخ " أرنولد توينى " ملفتا النظر إلى أن سيطرة الجنس يمكن أن تؤدى إلى تدهور الحضارات .

يقول الأخ الأستاذ " فتحى يكن "فى كتابه : (الإسلام والجنس) [1]:

( فى الواقع يستحيل اليوم السير فى أى مدينة كبيرة دون التعرض للقصف الجنسى الحقيقى، إعلانات من كل حجم، مجلات وأغلفة مصورة، أفلام سينمائية، صور معروضة فى داخل علب الليل، وألافا من الفتيات والنساء يرتدين ثيابا كان يمكن أن توصف بقلة الحشمة من أمد قريب . إن اللواط والسحاق والممارسات الجماعية للجنس والزواج التجريبى، أو الحب السابق للزواج، وإن نوادى الشذوذ والغارسونيرات والستيريوهات ونوادى العراة وعلب الليل ،و إن المجلات الماجنة والأفلام الجنسية والصور الخليعة . . إلخ، كل هذه وغيرها، باتت السمة المميزة للمجتمعات البشرية فى شتى أنحاء الأرض . . . ).

---

(١) (ص:١١ ).

### لا شئ ينبت من فراغ . . .

إذا فإن لـهذا الإعـصار الجنسى المدمـر، الذى يجتـاح عالمنا اليـوم، أسبـابا وخلفيـات، هى التى حملت به سفـاحا ،ثم وضعتـه وحشا كـريها وخطرا فى آن واحد .

ونحن لا نتجنى على الفلسفة المادية فى تحميلها كل المسئولية، لأنها هى التى تدعو إلى ذلك وتبشـر به، فهى التى انقطعت فيها الصـلة بين الكائن البشرى وبين الحقـائق والمسلمات الغيـبية، وأنكرت وجود الخـالق المدبر - سبحـانه - ،وقضت على وجود الضوابط الأخلاقية لمسيرة الحياة ،و العقاب أو الثواب الأخروى، وغدا الإنسان حيوانا يعيش بغرائزه ولها، ويحيـا لنزواته وبها، وأصبحت الشهوات أكبر همه ،والدنيا مبلغ علمه .

ففيلسوف المذهب المادى وصاحبه (كارل ماركس) يحدد الإطار الحياتى الذى يلف الكائن البـشرى ويضـبطه ولا يتعـداه، وذلك ضمن الحـاجات الـثلاث، أو الاكتفاءات وهى : (الغذاء والكساء و. . . . الجنس ! ! ! )

كما جاء فى (المانيفستو) [(١)] الشيوعى :

( ليس الشيوعيون بحاجة إلى إدخال إشـاعة النساء، فهى تقريبا كانت دائما موجودة )

ولا يكتفى (البرجوازيون) بأن يكون تحت تصرفهم نساء العمال وبناتهم، بل يجدون لذة خاصة فى إغواء بعضهم لنساء بعض .

ليس الزواج (البـرجـوازى) فى الحـقـيـقة والواقـع سوى إشـاعـة النسـاء المتزوجات.

(١) وترجمته : البيان أو الميثاق (ص: ٥٢).

فقصـارى ما يمكن أن يهتم به الشـيوعيون إذا هو أنهم يريدون إبـدال إشاعة النساء المستترة بالرياء، المغطاة بالمداجاة، بإشاعة صريحة رسمية ! ! ؟

لكن هذه الاتجاهات المادية فشلت فشلا ذريعا فى تحقيق الطمأنينة والاستقرار للإنسان . . .

والمدنية الحديثة رغم كثرة منجزاتها العلمية والتقنية لم تتمكن من سد الفراغ والجوع النفسيين فى حياة الكائن البشرى، بل هى على العكس تسببت فى كثير من حالات التوتر والانهيـار العصبيين، وفى انتشار وتكاثر الأمراض النفسـية مما تشهد وقائعه بالأرقام مصحات الأمراض العصبية فى شتى أنحاء العالم .

وأيضا . . .

كان من مـحصلة هذه الاتجـاهات، وسيطرتهـا خلال أجيـال ،أن علت فى الستينات صيحات، بعد أن بلغ السيل الزبى، تنذر وتنبه .

ففى أبريل (نيـسان) ١٩٦٤ أثيرت فـى (السويد) ضجـة كبرى عندمـا وجه (١٤٠) من الأطبـاء ا لمرموقين مـذكـرة إلى الملك والبـرلمان يطلبون فـيـها اتخاذ إجراءات عاجلة للحد من الفوضى الجنسية التى تهدد حـقا حيوية الأمة وصحتها، وطالب هؤلاء الأطباء بقوانين ضد الانحلال الجنسى ! ! !

وفى مايو (أيـار) ١٩٦٤ ، قامت أكثـر من ألفى سيـدة أنجليزية بحـملة كان عنوانهـا : (تنظيف مـوجـات الإذاعـة وشـاشـات التليـفـزيون من الوحل الذى يلطخـها)،وفى أول اجـتمـاع لهن قال أحـد المذيعين : (يوجد فى الخـارج أناس يتمنون أن تهدم الأخلاق الجديدة العصب الأخلاقى فى بلدنا ).

حتى فى (الصين الشعبـية) يشعر أتباع (ماوتسى تونغ) - فى عمليـة مراجعة أو تراجع ذاتى : (أنهم مضطرون لإلقاء نظرة جـديدة على قضايا الحب والأخلاق الفردية) .

وفى سنة ١٩٦٢ - أيضا - قال الرئيس الأمريكى الأسبق (جون كينيدى) : (إن مستـقبل أمريكا فى خطر؛ لأن شبـابها مائع منحل، غـارق فى الشهوات، لا





يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه، وإن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ! ! ؟؛ لأن الشهوات التى غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية ).

وتظل هذه الصيحات وأمثالها من غير مضمون علمى قويم، يعتبر دواء ناجعا وشافيا من الأدواء والأمراض والعلل .

لماذا . . . ؟

لأن الطرح فى كثير من الأحيان اعتمد على مفهوم تصورى نابع من عقائد مشوشة ، اختلطت عليها السبل، وزاغت بها الأهواء.

وفى بعض الأحيان كانت سلبية جامدة، تشخص الداء ولا تعطى الدواء .

# مفهوم الأخلاق و . . . . الجنس ! !

إن مما قصر بالمجتمع العربى المادى عن الإلتزام بالقواعد السليمة وعدم تجاوز الحدود فى موضوع الجنس، والانضباط المسلكى الفطرى، هو المفهوم الأخلاقى السائد لديه .

فمثلا . . . يقول " دركايم " رائد علم الإجتماع المعاصر :

( إن الأخلاقيين يتخذون واجبات المرء نحو نفسه أساسا للأخلاق، وكذا الأمر فيما يتعلق بالدين . . . فإن الناس يرون أنه وليد الخواطر التى تثيرها القوى الطبيعية الكبرى [١]، أو بعض الشخصيات الفذة [٢] لدى الإنسان، ولكن ليس من الممكن تطبيق هذه الطريقة على الظواهر الاجتماعية اللهم إلا إذا أردنا تشويه الطبيعة )

ويقول " فرويد " - رائد علم النفس - :

( إن الإنسان لا يحقق ذاته بغير الإشباع الجنسى، وكل قيد من دين أو أخلاق أو مجتمع أو تقاليد هو قيد باطل ومدمر لطاقة الإنسان، وهو كبت غير مشروع )

وقد رد " فرويد " منشأ الأديان إلى صورة من الكبت تمثلت فى عبادة الطوطم، ثم انحط بالعقيدة الدينية إلى مستنقع الغريزة الجنسية حين تخيل فى وهمه المريض فى عقدتى (أوديب) و (إلكترا) .

وعقدة أوديب هى الحب الجنسى من الولد لأمه . . ! ؟ ولكن هذا الولد يرى فى الأب حائلا ومانعا، ولابد من إزاحته من الطريق، فيقتله لينفرد بالأم، غير أنه عند رؤية الدماء (يندم) فيمتنع عن الأم . . . ثم . . . يقدسها .

ومن هنا نشأت الأديان عند " فرويد " . . . تصوروا . . . ! ! ؟

---

(١) يعنى الذات الإلهية، وحيث أن دركايم يفكر ذلك فهو يجنح إلى المعنيات .

(٢) وكذلك يعنى بالشخصيات الفذة (الرسل والأنبياء) صلوات الله وسلامه عليهم.

وعلى الرغم من أن كثيـرين من أخواننا الكتاب والدراسين والمحللين، الذين إضطلعـوا بعبء دحض آراء فـرويد وغـيـره من الماديين لم تـلفت نظرهم كلمـة (الندم). . . ومروا بها من غيـر تدقيق . . . ولو أنهم وقفوا عندها بعض الشئ لردوا كل تصورات فـرويد المريضة عليـه، وعلى عقده النيـة الكامنة فى أعمـاقه، والتى أطلقها كالسهام المسمومة يصيب بها ما يشاء ومن شاء .

ونسأله نحن :ما هو باعث (الندم) عند " أوديب " . . ؟

ويكفينا فى الإجابة أنه : (صحوة نازع الخير فى الضمير . . .) وهو معنى أزلى أودعه الخالق سبحانه وتعالى فى الكيان الإنسانى . . . ولا شئ غير ذلك .

ويقول فيلسوف المادية الماركسية " إنجلز " :

( إن العالم المادى الذى تدركه حواسنا، والذى نـنـتمى نحن أنفسنا إليه، هو الواقع الوحيـد، إن إدراكنا وفكرنا مهمـا ظهرا رفيعين سـاميين، ليسا سـوى نتاج عضوى مادى جسدى هو الدماغ . . . إن المادة ليست من نتاج العقل؛ إن العقل نفسه سوى نتاج المادة الأعلى ).

وبناء على هذا التصور تكون الفكرة بنت المادة، ويكون الخلق وليد العلاقات المادية بين أفراد المجتمع ،و حـاجاتهم و مصالحهم، وليس مقيـاسا علويا يحكمها وينظمها .

ولتقـريب مفهـوم : (الفكرة بنت المادة) نقول - مـثلا - إن المهندس لا يمر بمرحلة التصور الذهنى لبناء معين، ولا بمرحلة الرسم البيانى، ولا بمرحلة التجسيم المصغر . . . بل العكس هو الصحيح عند الماديين ! !

والمغالطة المنطقـية فى هذا واضحـة، وليست بحاجـة إلى شرح أو تطويل، هذه - عزيزى القارئ - حـصيلة التصور الخلقى لدى الماديين، التى أغرقـوا فيها أنفسهم والعالم . . .

أضف إلى ذلك القطاع المتدين من المجتمع الغربى، الذى يؤمن بوجود ذات إلهية، ولكنه جنح فى تطرف خطير نحو إطلاق الحرية الفردية (الشخصية) من كل التزام أو قيد، وقدس ذلك المفهوم تقديسا عشوائيا، أعماه عن الحق والهدى .

وأضف إلى ذلك - أيضا - ما تحيكه الحركة الصهيونية على الدوام من مؤامرات وفتن لتقويض الشعوب - كل الشعوب غير اليهودية - بالجنس . . !

يقول أحد (بروتوكولات حكماء صهيون) :

( يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان فتسهل سيطرتنا . . . إن " فرويد " منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس لكيلا يبقى فى نظر الشباب شئ مقدس ،و يصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندها تنهار أخلاقه )

كما جاء فى بروتوكول أخر :

( لقد رتبنا نجاح (دارون) و( ماركس) و (نيتشة) بالترويج لأرائهم وإن الأثر الهدام للأخلاق الذى تنشئه علومهم فى الفكر غير اليهودى واضح لنا بكل تأكيد )

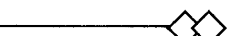
أما الإسلام فإن فلسفته الأخلاقية مبينة على أساس توافق وتنظيم الغرائز والعلاقات والتصرفات البشرية حسب التصور العقيدى، وما ينبثق عنه هذا التصور.

إنه الضبط التام لجميع شئون الحياة، خاصة كانت أو عامة، فردية كانت أو جماعية، ضمن الأطر الأخلاقية، ليكون الأثر الناتج عنها أخلاقيا أيضا . . .

فالأخلاقية الإسلامية ليست وحدة منفصلة، ولا جزئية قائمة بذاتها، ولا حاجة عارضة أو طارئة، إنما هى حبة فى عقد، تنسجم وتتكامل وفق نظامه العام ومنهجه الكلى .

لذا فإن الإســلام حين يضع للغريـزة الجنسية ضـوابط أخلاقـية، مـحددة، معـينة، لا يعز لها عن نظامـه، وإنما يفعل ذلك فى ضـوء تقديره لطبيـعة الكائن البشرى وإحتياجاته العضوية والنفسـية وأشواقه الروحية ومتطلباته البدنية فى تكامل تام مع مختلف شئون حياته، فى توازن وغير إخلال .

وبهذا يتمـيز الإسلام عن كل القوانين البـشرية الوضعية، ويتـفرد فى قدرته على تنظيم الحياة الإنسـانية تنظيما راقيـا ودقيقا، ليصـون كرامتها التى شرفـها بها الخالق الأعظم سبحانه وتعالى .



هل أطلق الإسلام الجنس من عقاله وترك للغريزة الجنسية مدها ومداها ؟ أم أنه كبتها وقسرها من خلال مثالية خيالية ؟

لا هذا ولا ذاك . . .

بل نظمها تنظيما دقيقا رائعا، هو أحوج ما يلزم البشرية اليوم، وذلك فى عملية (متوازنة) تدرك أبعاد الاحتياجات والمتطلبات، حفاظا منه على استواء الإنسان عقلا وروحا وبدنا، وكائنا إجتماعيا يتفاعل مع الناس .

جاء فى كتاب منهج التربية الإسلامية للأستاذ " محمد قطب " :

( الإسلام يؤمن من الكائن الإنسانى بما تدركه الحواس، وبما يقع خارج الحواس، يؤمن بكيانه المادى المحسوس وأنه قبضة من طين الأرض، يؤمن بما فيه من طاقات، ويعترف بهذا الكيان اعترافا كاملا لا يغض شيئا من قيمته ولا يهدر شيئا من طاقته . . . يستجيب لحاجاته ومطالبه، فيوفر له المأكل والملبس والمسكن والجنس ونصيبه من المتاع، ويحبذ طاقاته لتعمل فى تعمير الأرض وإنشاء النظم وتشييد الحضارات .

وفى الوقت ذاته يؤمن بالكيان الروحى للإنسان، يؤمن بأن فيه نفحة من روح الله ويؤمن بما لهذا الكيان الروحى من مطالب، وما يشتمل عليه من طاقات، فيعطيه ما يطلبه من عقيدة ومثل وصعوت وترفع، ويحبذ طاقاته فى إصلاح كيان النفس وإصلاح شرور المجتمع، وإقامة الحق والعدل الأوليين، بأن يصله بالله .

فحين توحى عقيدة من العقائد أو نظام من النظم بأنه ليس ثمة إله ،وأن الواقع المادى هو الحقيقة الوحيدةأن يصله بالله ، وأن الإنتاج المادى والتنظيم الاقتصادى هو كل حياة البشرية ، حين ذلك تكبت مؤقتا جوانب الإنسان الروحية

والوجدانية والفكرية . . . وقد تذبل وتنحسر ويصيبها الشلل فتعجز عن النشاط، ولكنها لا تبقى كذلك إلى الأبد، وإلا مات الشـعب وإنقرض، كما حدث لبعض الشعوب فى التاريخ .

إن كل ما يصيب الإنسان فى الحياة من شـر، كل ما يصيبه من قلق أو جزع أو اضطراب ،كل ما يصيـبه من فساد أو بوار أو شقوة، هو نتـيجة حتميـة لفقدان (التوازن) فى داخل النفس، وفقـدانه من ثم فى واقع الحياة . . . حين تطغى على الإنسان شهوة من شهواته . . . شهوة مال أو شهوة جنس أو شهوة قوة أو شهوة سلطان، فذلك اخـتلال فى باطن نفسه لا يسـعده فى الحقيـقة وإن بدا له فى أول الأمر أنه مستمتع وراض وسعيد، إنما هو فى الواقع شقوة دائمة؛ لأنه قلق على ما عنده وراغب فى المزيد . ثم هو اخـتلال فى واقع الحـياة، فكل شـهوة زائدة عن الحد لا تجرف صاحـبها وحده، وإنما تصيب غيره من الناس فـى الطريق، تصيبهم بعدوان يقع عليهم لا محالة من هذه الشهوة التى تجاوز الحدود).

ففى إطار هذا المفهوم والـتصور لبناء الإنسان وطبيعتـه ومتطلباته الفطرية ،و من أجل تحقيق الـتوازن فى سد حاجاته النفـسية والبدنيـة، اعتبر الغريـزة الجنسية إحدى الطاقات الفطرية فى هذا التركيب، ويـجب أن يتم تنظيم وضبط تصريفها، لا إطلاقها أو كبتها .

( إن استخراج هذه الطاقة من جسم الإنسان ضـرورى، كما أن اختزانها فيه مضر وغير طبيعى ،و لكن بشرط الانتفاع بها وتحقيق مقاصدها الإنسانية).

وأول تلك المقاصد : عقد أواصـر المودة والرحمة بين الرجل والمرأة وهذا ما تشير إليه الأية الكريمة: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ... (٢١) ﴾ [الروم].

والسكن فى الآية الكريمة مقدم على المودة والرحمة ، يعنى الطمأنينة والاستقرار، وهو نقيض الاضطراب والقلق الناتجين عن الكبت من ناحية، أو التفريط فى فوضى العلاقة الجنسية من ناحية أخرى .

وما من شك أن هذا السكن يولد لدى الطرفين (الزوج والزوجة) نوعا من التألف والتكامل والانسجام، عنوانه الموة والرحمة، فهما من خلال هذا الإطار محصلة من محصلات السكن، وصورةمن صور الحب الراقى .

وثانى تلك المقاصد السامية تكوين الأسرة ،محضن الأمن والراحة والسعادة، ومفرخ الأجيال، ومصنع الرجال، ومناط المسئولية الاجتماعية، وهى مباءة جديدة يتسع فيها معنى الحب ويكبر، ويزداد نموا وتألقا وإشراقا .

وثالث تلك المقاصد إخصاب الحياة باستمرار النوع الإنسانى وتكاثره، ومن ثم يتسلسل الحب (مودة ورحمة وتعاطفا ) من الأسرة الصغيرة إلى الأسرة الاجتماعية الكبيرة .

ورابع المقاصد :استفراغ الطاقة الجنسية فى أسلوب بعيد عن البهيمية المحضة، والفوضوية المطلقة، تحقيقا للراحة النفسية والحسية عند الطرفين .

وخامسها : أن يظل الحب عنوانا مهيمنا، يسمو بروح الإنسان وجسده عن دنيوية وحيوانية الجنس.

**روى لى صديق :**

كنت ذات يوم فى جلسة عائلية مع أهلى، نشاهد مسلسلا أجنبيا (١) على الشاشة الصغيرة، وكان البطل والبطلة (٢) فى موقف غرامى، وحديث عاطفى محمود، وإذا بالبطل يدعو فتاته إلى ممارسة الحب، فتستجيب له، ثم يخلع عنه

---

(١) المسلسل الأمريكى دالاس.

(٢) كلاهما محرم على الأخر عرفا وتقليدا وقانونا.

ثيابـه، وتبدأ هى الأخرى، ثـم يضمهـما فـراش واحد وإضـاءة خافـتة و. . . و. . .إلخ

قلت فى نفسى إنها فرصة مناسبة للحديث عن الحب وتصحيح مفهومه حتى أنجو - قدر المستطاع - بعائلتى الصغيرة عن الدرك الأسفل من وادى الجهالة وتيه الضياع، فعقبت وعلقت، وتركت للـنقاش المتبادل أن يأخذ مداه، فليس أوقع فى النفس ولا أثبت ولا أشد تأثيرا من الاقتناع العقلى .

**عزيزى القارئ:**

إن (ممارسة الحب) هى العـملية الجنسية فى مفـهومها العـام المعاصر . . . فمن أين أتاها هذا التـحجيم ؟ ومن أين جاءتها هذه الطـاقة ؟ ولماذا سخف الحب إلى هذه الدرجة الحيوانية والمستوى البهيمى ؟

نحن لا ندعى إطلاقا بأن الإتصال الشرعى بين الزوج والزوجة عملية حقيرة أو دنيئة أو ممقوتة . . . أبدا . . . ،بل هى صورة وجزئية من المعنى العام الواسع الذى يلف حياتهما كلها، ويزهر فى رياضها أشهى وأطيب الثمار .

ونحن أيضا لا نـنكر على الإنسان أدميـته وغـريزته التى أودعها الـله تعالى فيه، فلابد من سبيل لتصريف دفقهتها وإلحاحها .

لكننا لا نحجم الحقيـقة الكونية الكبرى : (الحب) فى متعـة عارضة فالحب مستمر مع الإنسـان استمرار أنفاسه ودقات قلبه، أما الممـارسة التى يقولون عنها، فهى شبق لذة عارمة، تخبو ثم تنطفئ .

ولو أننا دقـقنا فى كلمة (ممارسـة) لوجدنا أن مـفهـوم الحب عند أصحـابها وأهلها كالتمـثال أو النصب، جامد لا حياة فيه ولا روح ولا حـركة لا يتحقق ولا ينبعث إلا بالـممارسة الجنسـية، سواء كـانت شرعيـة بين زوجين ،أو محـرمة بين خليلين .

فالممارسة عندهم هى حياة الحب، ومن غيرها يكون ميتا .



# أخطار الانحرافات الجنسية وآثارها الضارة

إن للانحرافات الجنسية عن طريقها السوى الطبيعى آثارا ضارة وخطيرة على الإنسان، فردا ومجتمعا، فى نفسه وبدنه وكيانه الحضارى . . .

فالزنا - مثلا - يؤدى إلى اختلاط الأنساب، وانهيار الأسر والمجتمعات، وانتشار الأمراض والأوبئة، وطغيان الرذائل ،واندثار الفضائل .

ولقد عالج الإسلام هذا الانحراف بوسيلتين : إحداهما إيجابية والأخرى سلبية ،أما الأولى فبالحض والحث على الزواج وتهيئة أسبابه ووسائله ،و تيسير احتياجاته، وتمهيد طرقه .

يقول الرسول الأعظم ﷺ :(يامعشر الشباب من استطاع من كم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع منكم فعليه بالصوم فإنه له وجاء )

ويقول لمن يريد الزواج ولا يملك شيئا : (التمس ولو خاتما من حديد) [١].

ثم يقول لأخر : (زوجتكما بما معك من القرأن) [٢].

وأما الوسيلة الثانية (السلبية) فهى الردع والزجر والقمع عن الوقوع فى الزنا، مع التنبيه على مضاره وآثاره .

قال تعالى : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢) ﴾ [الإسراء].

وقال عز من قائل : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) ﴾ [الفرقان].

---

(١) أبو داود.
(٢) أصحاب السنن.

وجاء عن رسول الله ﷺ قوله : **(يا معشر المسلمين اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال، ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الأخرة، فأما التى فى الدنيا : فذهاب بهاء الوجه، وقصر العمر، ودوام الفقر ،وأما التى فى الأخرة : فسخط الله تبارك وتعالى، وسوء الحساب، والعذاب بالنار)** [1].

و يقول ﷺ : **(لا تزل أمتى بخير ما لم يفش فيها ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك الله أن يعمهم بعذاب)** [2].

أما المضار الصحية فقد تحدثت عنها امهات الكتب الطبية، ومؤتمراتها الدورية، وبات فى حكم المؤكد والطبيعى والقطعى أن الزنا يتسبب فى كثير من الأمراض والأوبئة الفتاكة.

ونحن لو رحنا نعدد أقوال كبار الدارسين لاحتاج ذلك إلى أسفار ضخام وليس هذا مجالها .

يقول الدكتور (جون بيتسون) :( إن القرائن التى جمعت من عدة دراسات تقول أن الأمراض الجنسية معظمها تنتج من العلاقات الجنسية الخارجة عن نطاق الزواج ).

كما يقول الدكتور (كلود سكوت نيكول) : (إن المشكلة التى تواجهنا اليوم هى تبدل قيمنا الأخلاقية التى شجعت وتشجع إقامة العلاقات الجنسية المحرمة، وهذه بدورها سببت ازديادا حادا فى إصابات الأمراض الناتجة عن الإباحة الجنسية)

وها كم إحصائية نشرتها هيئة الصحة العالمية تبين مدى تصاعد الخط البيانى لحوادث الأمراض (الزهرية والأيدز )، ما بين عام ١٩٦٠إلى عام ١٩٧٠، وقد مسحت فيها (١٠٥) دول :

(١) أبو داود والترمذى والنسائى.
(٢) مسلم وأبو داود.

| مسلسل | مسلسل | عدد الدول الممسوحة | عدد الدول المصابة |
|---|---|---|---|
| ١ | أفريقيا | ٢٩ | ٢٣ |
| ٢ | أمريكا | ٢١ | ١٥ |
| ٣ | شرقى البحر المتوسط | ١٢ | ٦ |
| ٤ | جنوب شرقى أسيا | ٢٣ | ١٣ |
| ٥ | أوروبا | ٢٠ | ١٩ |

وهناك انحرافات جنسية أخرى غير الزنا منها : اللواط والسحاق وا لعادة السرية، وكلها من الناحيتين النفسية والصحية، وكذلك من الناحية الاجتماعية تؤدى إلى أضرار وأخطار واسعة ومدمرة .

فى عملية استقرائية مجردة لتاريخ الأمم والشعوب على ظهر البسيطة نرى أن الإباحة الجنسية وشيوع الفاحشة حين تستشرى وتستفحل فى أمة أو قوم تكون كالعاصفة الهوجاء التى تقتلع كل شئ، أو تقوض وتدمر ،و تذر الأشياء من ثم أثرا بعد عين.

والشواهد على ذلك كثيرة متعددة

وما من شك فى أن طغيان الشهوة واستبداد الطاقة الجنسية فى جسد ما ستنعكس على كل الكيان، فيسترخى العقل ويتبلد الذهن، وتخبو فى النفس وفى الوجدان إشراقتهما، وتتعطل كل الطاقات، أو تسخر بالأحرى لخدمة سعار الشهوة، فتلتهب بها، وتذوب وتنصهر فى أتونها، ثم تتلاشى .

والفرد لبنة فى البناء الاجتماعى، فإذا ما كان الأفراد خواء كان المجتمع كله خربا يبابا، ينهار عند أول هزة أو صدمة .

( لقد عزا " المارشال بيتان " قائد القوات الفرنسية فى الحرب العالمية الثانية، هزيمة فرنسا السريعة [١] فى وجه الغزو الألمانى، إلى ما كان عليه المجتمع من انحلال وتفكك واستغراق فى الشهوات والملذات ).

وهذا ما أكده من بعد الكاتب الفرنسى (أندريه موروا) فى كتابه : " أسباب انهيار فرنسا فى الحرب العالمية الثانية " - فى دراسة مستفيضة - قال : (من أهم أسباب انهيار فرنسا هو تفسخ الشعب الفرنسى نتيجة انتشار الرذيلة بين أفراده ).

ولقد طلب الجنرال (ديجول)- بانى الجمهورية الفرنسية الخامسة- من رئيس الشرطة، عندما تسلم زمام السلطة (أن يغلق المواخير وأوكارا لخنافس فى العاصمة باريس).

---

(١) لم تصمد القوات الفرنسية سوى أسبوعين، مع إنهيار خط (ماجينو) الحصين، الذى كان يشبه خط (بارليف )الإسرائيلى على الضفة الشرقية فى قناة السويس .



ونسأل أين مكمن الخطر فى الإباحة الجنسية ؟

**أولا : التخريب والتدمير الأخلاقى :**

ومن مظاهره انتكاس القيم والصفات الإنسانية وبروز النزعات البهيمية، وهذه بادية اليوم فى المجتمعات الأوروبية والأمريكية، فالوجودية، و( الهيبية) والتمرد، والتحلل من كل قيمة اجتماعية، والهروب من المسئولية، والانعتاق من كل تقليد، وتحدى القانون . . . كلها سمات تدفع هذه المجتمعات .

وتؤدى بالتالى إلى استفحال الجريمة . . .

فحوادث السرقة، والقتل . . . والمخدرات . . . وغيرها، تضج بها ساعات الليل والنهار، على حد سواء

إن (نيويورك) تصبح مدينة إشباع مع حلول الساعة الثامنة مساءا ! ! ! ؟

**ثانيا : تفكك وتحلل الروابط الاجتماعية**

وأهم تلك الروابط : الأسرة ،إذ هى الوحدة الاجتماعية المصغرة، فحين يعزف الأفراد عن الزواج، وتكوين الأسرة بكل مقوماتها، ثم يمارسون بطريقة أو بأخرى تصريف الطاقة الجنسية، ينعدم الوجود الأسرى ،و يفقد المجتمع قاعدته الرئيسية، ثم يعصف به الشذوذ والانحراف ،و يتهيأ تلقائيا للعدم .

**ثالثا : إهدار الثروة القومية**

لأن شيوع الفاحشة وانتشار الرذائل ،و الإثارة الماثلة فى كل شئ تنعكس على المجتمع تنديدا وتبذيرا طلبا للذة، فيستغرق الانفاق عليها ثروة الأمة، وبذلك تضيع على الشعوب طاقات وإمكانات كان الأجدر بها أن تنفق فى مجالات التعمير والبناء والتقدم. . . والرخاء الحقيقى .

**ورابعا : الأسقام والعلل**

فالصحة العامة فى أى بلد أو أمة واقعة تحت ضغط الإباحة الجنسية أو انتشار الرذيلة، مصابة بالأمراض والأوبئة ،و فى حال انهيار وتراخ . . . دائمين.

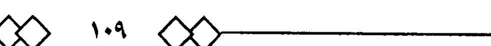
ليس فقط فيما يتعلق بالأمراض التناسلية، بل فى كل أجزاء البدن والكيان الصحى عامة .

وهذا - لعمرى - مورد الهلاك والفناء

وبعد كل هذا العرض الذى أوردنا، وتمنينا أن يكون فصلا فى موضوع (الحب) ثم بينا التداخل العضوى الحقيقى بين (الحب) و( الجنس) والوهمى فى (المعادلة العصرية) وشرحنا ما يسر الله تعالى لنا أيضا فى هذا المضمار . . . نود بصدق وأمانة . . . ورجاء، أن تأخذ كلمتنا فى الكتاب سبيلها إلى عقول ووجدان شبابنا، أبنائنا وبناتنا فيتداركوا أنفسهم وأمتهم . . . قبل فوات الأوان

**والله يقول الحق، وهو يهدى السبيل**

**اللهم هل بلغت ؟ اللهم فاشهد**



# الخــاتمة

لقد قـدمت فى كتابى ما أعـاننى الله تعالى عليه من فكر وجـهد ودراسة، وهو خلاصة إحساس ومعاناة، وواجب نضطلع بعبئه ،ونسأل عنه يوم القيامة .

وإنى لأدعـو كل صاحب فكـر وقلم من الكتاب الإسـلامـيين أولى الغيـرة والعلم، أن يسـاهموا بجـهودهم فى مـعايشـة مشاكلنـا المعاصرة، والـغوص إلى أعماقها وتحليلهـا، ومعالجتها بالحكمة والدراية والخبرة، وأربأ بهم أن نجـتر جميعا بلا استـثناء جهود من سبـقنا من العلماء الأجلاء، سعـيا وراء الكسب المادى، أو إخلادا إلى الجهد المحدود واسترخاء عن السعى الحثيث المطلوب . . .

وإلا فإن القطار يمضى . . . والهـجمة الإستعـمارية الفكرية تأخذ سـبيلها إلى العقول والقلوب . . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

**وأخيرا . . .**

أسأل الله تعالى أن يجعل عملى هذا مقبولا عنده، وفى ميزان حسناتى يوم القيامة .

**وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين**

**أحمد حسين فؤاد**



# الفهرس